جمهورية مصر العربية
وزارة الأوقاف
المجلس الأعلى للشئون الإسلامية

دراسات إسلامية
سلسلة تصدر
فى منتصف كل شهر عربى
العدد (١١٤)

# أوائل المؤلفين فى السيرة النبوية

أ. د. عبد الشافى محمد عبد اللطيف

القاهرة
١٤٢٥هـ - ٢٠٠٥م

جمهورية مصر العربية
وزارة الأوقاف
المجلس الأعلى للشئون الإسلامية

دراسات إسلامية
سلسلة تصدر
فى منتصف كل شهر عربى

# أوائل المؤلفين فى السيرة النبوية

أ. د. عبد الشافى محمد عبد اللطيف

العدد: (١١٤)

القاهرة

ذو الحجة ١٤٢٥هـ - فبراير ٢٠٠٥م

يشرف على إصدارها

الدكتور/ **محمود حمدى زقزوق**
وزير الأوقاف
ورئيس المجلس الأعلى للشئون الإسلامية

الدكتور/ **عبدالصبور مرزوق**
نائب رئيس المجلس الأعلى للشئون الإسلامية

# بسم الله الرحمن الرحيم

## مقدمة

النبى محمد بن عبد الله ــ صلوات الله وسلامه عليه ــ هو صفوة الله من خلقه ، بل هو صفوة الصفوة ، فالأنبياء ــ عليهم جميعًا أفضل الصلاة والسلام ــ هم المصطفون الأخيار ، وهو إمامهم وخاتمهم . وقد قال ﷺ :[ **أنا سيد ولد آدم** ][1]. فهو حامل الرسالة العالمية الخاتمة لجميع الرسالات ، وهو اللبنة الأخيرة فى صرح عقيدة التوحيد . فقد قال ﷺ : [ **إن مثلى ومثل الأنبياء من قبلى كمثل رجل بنى بيتا فأحسنه وأجمله . إلا موضع لبنة من زاوية ، فجعل الناس يطوفون به ويعجبون له ، ويقولون : هلاّ وضعت هذه اللبنة ؟ قال : فأنا اللبنة** ] [2] وفى رواية أخرى وأنا خاتم النبيين .

ولقد وصف الله تعالى عدداً من الأنبياء عليهم الصلاة والسلام ببعض الصفات ، فقد وصف أبا الأنبياء إبراهيم عليه السلام فقال : ﴿ **واذكر فى الكتاب إبراهيم إنه كان صدّيقًا نبيًا** ﴾[3] . وقال عن

---

(١) مسند الإمام أحمد بن حنبل جـ١ ص ٥ .

(٢) ابن حجر العسقلانى . فتح البارى شرح صحيح البخارى . جـ ٦ ص ١٥٨ .

(٣) مريم : ٤١ .

إسماعيل : ﴿ **واذكر فى الكتاب إسماعيل إنه كان صادق الوعد وكان رسولا نبيا** ﴾ (١).

وفى سورة الأنبياء يصف إسحاق ويعقوب بالصلاح والخيرية فيقول سبحانه وتعالى : ﴿ **ووهبنا له إسحاق ويعقوب نافلة وكلاً جعلنا صالحين * وجعلناهم أئمة يهدون بأمرنا وأوحينا إليهم فعل الخيرات وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة وكانوا لنا عابدين** ﴾ (٢). ويصف لوطا وداود وسليمان بالعلم والحكمة : فيقول : ﴿ **ولوطا آتيناه حكما وعلما** ﴾ (٣). ويقول سبحانه وتعالى : ﴿ **ففهمناها سليمان وكلاً آتينا حكما وعلماً** ﴾ (٤).

ويصف إسماعيل وإدريس وذا الكفل بالصبر فيقول : ﴿ **وإسماعيل وإدريس وذا الكفل كل من الصابرين** ﴾ (٥).

وهكذا نرى الله تعالى يصف بعض أنبيائه ببعض الصفات النبيلة ، لكنه فى ختام السورة عندما يصف محمدا — عليه الصلاة والسلام — فإنه لا يصفه بصفة جزئية وإنما يجعله كله هداية إلهية

---

(١) مريم : ٥٤ .
(٢) الأنبياء : ٧٢ — ٧٣ .
(٣) الأنبياء : ٧٤ .
(٤) الأنبياء : ٧٩ .
(٥) الأنبياء : ٨٥ .

إلى العالم ، ورحمة لهذه الإنسانية [١]. فيقول تعالى : ﴿ **وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين** ﴾ [٢].

وفي موضع آخر يصفه بالصفة الجامعة لكل خصال الخير وجميع الفضائل الإنسانية ، فيقول : ﴿ **وإنك لعلى خلق عظيم** ﴾ [٣].

والخلق العظيم هو جوهر رسالته ﷺ فهو القائل : [ **بعثت لأتمم حسن الأخلاق** ] [٤] ولقد عاش رسول الله ﷺ أخلاقيا من طفولته إلى أن لقى ربه ، فقد كان قومه ينادونه بصفة نادرة في ذلك الزمان وقبل أن يبعث : فقد نادوه وعرف بينهم " **بالصادق الأمين** " . وعظمة الرسول محمد ﷺ ليست في أنه يمتاز بمجموعة من الأخلاق الإنسانية العالية فحسب ، فهو الأمين إذا ذكرت الأمانة ، وهو الصادق إذا ذكر الصدق ، وهو الوفي الكريم ، الزاهد ، الشجاع ، المتواضع ، الرحيم البار ، الحكيم ، الفصيح ، البليغ العابد ، كان الرسول هذا كله وكان فوق هذا ، فكانت أخلاقه فوق الصعاب وفوق كل الظروف والتقلبات التي تأتي بها الأيام ، لقد كان قادراً على أن

---

(١) انظر في ذلك البحث القيم الذي كتبه الأستاذ الدكتور عبد الحليم عويس بعنوان شخصية الرسول ﷺ في كتاب : الجزيرة العربية محمد في عهد الرسول والخلفاء الراشدين " جـ١ ص ٦٣ إلى ص ٩٣ . وهو مرجعنا الأساسي في تلك المقدمة .

(٢) الأنبياء : ١٠٧ .

(٣) القلم : ٤ .

(٤) مسند الإمام أحمد بن حنبل جـ ٢ ص ٣٨١ .

يلتزم الموقف الأخلاقى المناسب ، مهما تكن اللحظة التاريخية حرجة وحاسمة ، إنه نبى يشرع بسلوكه وينطلق من منهج واضح وليس من ردّ فعل تُمليه أو تفرضه أية ضغوط أو ظروف (١).

" لقد تحدث بعض الكتاب معدداً الخوارق التى صاحبت الدعـــوة المحمدية فقال : " إن من أعظم الخوارق التى لمحمـــد ﷺ أخلاقـــه ، فكانت فى ذاتها أمرًا خارقًا للعادة بين بنى الإنسان ، فهى أعلى مـــن أخلاق الملائكة ، لأن الملائكة حسنت أخلاقهم بمقتضـــــى كونـــهم ، " لا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمـــرون " .. فمحمـــد بيـــن الناس الإنسان الذى تتجلى فيه الإنسانية الكاملة (٢).

وقد كانت صفحة حياته ــ عليه الصلاة والسلام ــ كما نقلـــت إلينا بكل دقة وتوثيق ــ أخلاقية إنسانية بلغـــت مـــن الســـمو غايـــة ما يستطيع إنسان أن يبلغ ، وكانت لذلك أسوة حسنة لمن هـــداه الله أن يحاول بلوغ الكمال الإنسانى من طريق العمل الصالح ، وأى ســـمو فى الحياة كهذا السمو الذى جعل حياة محمد ﷺ قبل الرسول مضـــرب المثل فى الصدق والكرامة . والأمانة ، كما كانت بعد الرسالة كلـــها التضحية فى سبيل الله وفى سبيل الحق الذى بعثه الله بـــه ، تضحيـــة استهدفت حياته من جرائها للموت مرات ، فلم يصده عنه أن أغـــراه

---

(١) د . عبد الحليم عويس المرجع السابق ص ٧٣ .

(٢) الشيخ محمد أبو زهرة ــ خاتم النبيين جــ ١ ص ٢٤٢ .

قومه وهو فى الذروة منهم حسبًا ونسبًا بالمال والملك وكل المغريات " [١].

والغريب أن هذه الإنسانية الأخلاقية قد طبقت على هذا النحو الخارق للعادة فى أروع صور البساطة واليسر ، فبدت ــ مع سموها ــ وكأن البساطة وعدم التقعر أو التكلف نسيجها الذى يجمع بين خيوطها المترابطة [٢]. فعن عائشة رضى الله عنها قالت : " ما لعن رسول الله ﷺ مسلمًا من لعنة تذكر ، ولا انتقم لنفسه شيئًا يؤتى إليه إلا أن تنتهك حرمات الله ، ولا ضرب بيده شيئًا قط ، إلا أن يضرب فى سبيل الله ، ولا سئل شيئًا قط فمنعه إلا أن يسأل مأثمًا ، فإنه كان أبعد الناس عنه .

عن عائشة رضى الله عنها قالت : " **ما خُيِّر رسول الله ﷺ بين أمرين إلا أخذ أيسرهما ما لم يكن إثمًا ، فإن كان إثمًا كان أبعد الناس عنه** " [٣].

" إن هذا النبى كان له ــ كما يقول كاتب نصرانى ــ فى مجال الأخلاق شئون وشئون ، فبالرغم من مهامه الجسام وانشغالاته الكثيرة المتنوعة ، وبالرغم من الغزوات والسرايا والحروب ،

---

(١) محمد حسين هيكل ــ حياة محمد ص ٥٨٣ .

(٢) انظر د . عبد الحليم عويس ــ المرجع السابق ص ٧٤ .

(٣) صحيح البخارى ج ٢ ص ٢٧٣ . طبعة دار إحياء التراث العربى .

واضطلاعه بجميع المسئوليات وحده دون سواه ، فلقد وجـــد الوقـــت الكافى ليلقى على المؤمنين ــ بأقواله وأفعاله ــ دروسًا فـــى شـــئون لا تمر ببال مسئول كبير فى مثل مستواه وخطورته .. فذلك العظيـــم الذى كان يحاول تغيير التاريخ ، ويعد شعبًا يفتح الدنيا من أجـــل الله ، ذلك الرجل وجد الوقت الكافى ليلقى على الناس دروســـــا فـــى آداب المجتمع وفى أدسول المجالسة وكيفية إلقاء السلام ، لكأنه معلم حصر مهمته فى تثقيف بضعة وعشرين تلميـــذًا ، ولـــم يكـــن لـــه مهمـــة سواها " (١).

ولقد نجح محمد ﷺ نجاحًا باهرًا فى كل عمل اضطلع بـــه مـــن أكبر عمل وهو تبليغ الرسالة إلى أصغر عمل قام به (٢).

فالتاريخ قد عرفنا برجال حملـــوا رســـالات ســـماوية وأدوهـــا بنجاح ، ورجال بنوا أمما ، ورجال آخريـــــن أسســـوا دولاً ، لكـــن التاريخ لم يحدثنا عن رجل جاء برسالة سماوية من عند الله تعـــالى ، ثم بنى أمة ، ثم أسس دولة ، ونجح فى كل ذلك وفى حياتـــــه وقبـــل موته سوى النبى العربى محمد بن عبد الله ﷺ .

ولهذا جعله مايكل هارث على رأس قائمة الخالدين المائـــة مـــن أبناء آدم وعلل ذلك حسب منهجه العلمى ومقاييس العظمة عنده ، بأن

---

(١) المرجع السابق ص ٧٤ نقلا عن الطبقات الكبرى لابن سعد جـــ ١ ص ٣٦٧ .

(٢) نصرى سلهب ــ فى خطى محمد ص ٣٦٦ ــ ٣٦٧ .

محمدًا ﷺ كان الرجل الوحيد فى التاريخ الذى نجح بشكل أسمى ، وبَّرز فى كلا المستويين الدينى والدنيوى ، وأنه أسس ونشر أحد أعظم الأديان فى العالم ، وأصبح أحد الزعماء العالميين السياسيين العظام . " **وأنه بعد مرور أربعة عشر قرنا لازال تأثيره قويا ومتجددًا** " (١).

وبالقياس نفسه يشهد لمحمد ﷺ المؤرخ العالمى الشهير ول ديورانت فيقول : " وإذا ما حكمنا على العظمة بما كان للعظيم من أثر فى الناس قلنا إن محمدًا كان من أعظم عظماء التاريخ ، فقد أخذ على نفسه أن يرفع المستوى الروحى والأخلاقى لشعب ألقت به فى دياجير الهمجية حرارة الجو ولهيب الصحراء ، وقد نجح فى تحقيق هذا الغرض نجاحًا لا يدانيه فيه أى مصلح آخر فى التاريخ كله ، وقلَّ أن نجد إنسانا غيره حقق كل ما كان يحلم به ، وقد وصل إلى ما كان يبتغيه عن طريق الدين ، ولمْ يكن ذلك لأنه هو نفسه كان شديد التمسك بالدين وكفى ، بل لأنه لم يكن ثمة قوة غير قوة الدين تدفع العرب فى أيامه إلى سلوك ذلك الطريق الذى سلكوه ، فقد لجأ إلى خيالهم وإلى مخاوفهم وآمالهم ، وخاطبهم على قدر عقولهم ، وكانت بلاد العرب لما بدأ الدعوة صحراء جدباء ، تسكنها قبائل من عَبدة الأوثان ، قليل عددها متفرقة كلمتها ، وكانت عند وفاته أمة

(١) انظر : الخالدون مائة . تأليف مايكل هارت ترجمة أمين منصور ص ١٣ .

موحدة متماسكة ، وقد كبح جماح التعصب والخرافات ، وأقام فـــوق اليهودية والمسيحية ودين بلاده القديم دينًـــا ســـهلاً واضحًـا قويـا ، وصرحًا خلقياً قوامه البساطة والعزة ، واستطاع في جيـل واحـد أن ينتصر في مائة معركة ، وفي قرن واحد أن ينشيء دولة عظيمـــة ، وأن يبقى إلى يومنا هذا قوة ذات خطر عظيم في نصف العالم " [1].

بعد كل ما تقدم ، وهو قليل من كثير عن شخصية الرسول الخـاتم محمد بن عبد الله عليه الصلاة والسلام وليس عجبًا أن تكـــون تلــك الشخصية محور اهتمام كل الناس ، مسلمين وغير مسلمين على مدى تاريخه كله وأظن أن هذا الاهتمام سيستمر ما استمرت الحياة ، ولـــن يبلغ الكتّاب المؤلفون مهما كتبوا وألفوا جوانب العظمة في شـــخصية الرسول ﷺ وليس هناك أبلغ ــ في هذا المجال ــ من الكلمـــة التـــي قدم بها فضيلة الإمام الأكبر الشيخ محمد مصطفى المراغي ، شـــيخ الأزهر الأسبق ، كتاب حياة محمد للأستاذ الدكتـــور محمـــد حســـين هيكل حيث قال : " منذ وجد الإنسان على الأرض ، وهو مشوق إلـــى تعرف ما في الكون المحيط به من سنن وخصائص ، وكلما أمعن في المعرفة ظهرت له عظمة الكون أكثر من ذي قبل ، وظـــهر ضعفـــه وتضاءل غروره .

---

(١) د. عبد الحليم عويـــس المرجـــع الســـابق ص ٨٩ نقـــلا عـــن قصـــة الحضـــارة جـــ ٢ ص٤٧.

ونبى الإسلام صلوات الله عليه وسلامه ، شبيه بالوجود . فقد جدَّ العلماء منذ أشرقت الأرض بنوره يلتمسون نواحى العظمة الإنسانية فيه ، ويلتمسون مظاهر أسماء الله جلت قدرته فى عقله وخلقه وعلمه ، ومع أنهم استطاعوا الوصول إلى شىء من المعرفة ، فقد فاتهم حتى الآن كمال المعرفة . وأمامهم جهاد طويل وبعدٌ شاسع وطريق لا نهاية له " (١).

وندر أن نجد فى التاريخ البشرى رجلا عرفت حياته ــ الخاصة والعامة ــ بكل تفاصيلها ودقائقها كما عرفت ودرست حياة النبى محمد عليه الصلاة والسلام .

" فحتى قضاؤه لوطره ، واغتساله بعده ، وطريقة غسله ، ونومه ، وطريقة قضائه لحاجته واغتساله منها ، كل ذلك نقله إلينا التاريخ بطريقة موثقة ، ندر أن توثق بها نصوص فى التاريخ "(٢).

يقول المستشرق مونتيه فى وصف وضوح حياة الرسول ﷺ " ولقد ندر بين المصلحين من عرفت حياتهم بالتفصيل مثل محمد ، وإن ما قام به من إصلاح الأخلاق ، وتطهير المجتمع يمكن أن يعد به من أعظم المحسنين للإنسانية " (٣).

---

(١) ص ط من تقديم الإمام الأكبر الشيخ محمد مصطفى المراغى لكتاب حياة محمد .

(٢) د . عبد الحليم عويس ــ المرجع السابق ص ٦٧ .

(٣) المرجع السابق ص ٦٨ .

# دوافع المسلمين للاهتمام بسيرة الرسول ﷺ

ليس هناك شخصية تاريخية لقيت من اهتمام الدارسين والباحثين قديما وحديثًا كما لقيت شخصية الرسول محمد ﷺ وليس هناك أمة اعتنت بتاريخ وحياة نبيها ــ بكل تفاصيله ودقائقه ــ كما اعتنت الأمة الإسلامية ، وذلك لسببين رئيسيين .

**الأول :** إن هذه الحياة حياة مثالية فى جميع جوانبها ومستوياتها ودراستها متعة روحية وذهنية ، لأن الإنسان يبحث دائمًا عن المثل الأعلى والقدوة الحسنة ، لعلّ الله يهديه إلى أقوم طريق وأفضل سلوك ، وليس هناك حياة وسيرة يمكن أن يتعلم منها الناس أعظم من حياة وسيرة النبى ﷺ وصدق الله تعالى إذْ جعلنا بل يأمرنا بالاقتداء به فيقول : ﴿ **لقد كان لكم فى رسول الله أسوة حسنة** ﴾ (١).

**الثانى :** إن الجانب الأعظم من حياة وسيرة الرسول ترجع للأمة ومن ثم كانت عنايتها بأحاديثه وأفعاله ومغازيه وأيامه ، وتكاد تكون كل كلمة تلفظ بها الرسول ، وكل حركة وكل فعل مرصودة من المسلمين ، ويحفظونها عن ظهر قلب ، ومدونة فى صدورهم قبل أن تدون فى الكتب عند بدء ، حركة التدوين مع نهاية القرن الأول الهجرى وبداية القرن الثانى .

---

(١) الأحزاب : ٢١.

## بداية التأليف فى السيرة النبوية

من سنن الله الكونية أن كل شيء يخضع للتـــدرج فـــى النشـــأة والتكوين ، يتساوى فى ذلك الإنسان والحيـــوان والأفكـــار والعلـــوم والفنون ، فلا شيء يخلق كاملا ، أو ينشأ ناضجًا مستوى التكويـــن ، وإنما يمر بمراحل زمنية متتابعة ، حتى يصل إلى نضجه واســـتوائه وكماله ، وسيرة الرسول ﷺ لم تشذ عن تلك القاعدة ولم تخرج عـــن ذلك الناموس ، فنحن نعلم أن سيرة الرسول لم تدون فـــى حياتـــه ، أعنى أنه لم يكن من بين الكتّاب الذين كـــانوا يكتبـــون للرســـول ﷺ الوحى وغيره ـــ وهم كثيرون ـــ من تخصص فى تســـجيل أحـــداث حياته ﷺ الخاصة والعامة ، واستمر الحال على ذلك طـــوال خلافـــة الخلفاء الراشدين الأربعة ١١ـــ٤٠هـــ ويبدو أنه كان لذلـــك أســـباب كثيرة من أهمها أن الرجال الذين عاصروا الرسول ﷺوهم صحابتـــه رضوان الله عليهم جميعًا ، لم يكونوا فى حاجة إلـــى تســـجيل تلـــك الأحداث ، فهم قد عايشوها وانفعلوا بها وتفاعلوا معها بدرجـــــة لـــم يسبق لها مثيل فى تاريخ الرسالات والدعوات الدينيـــة فكـــل مشـــهد منطبع فى ذاكرتهم ، وكل كلمة نطق بها الرسول حفظوهـــا ، وكـــل عمل من أعماله معروف لديهم تمام المعرفة وبكل التفاصيل ، هـــذا

مع ما امتازوا به من قوة الحافظة وسرعة البديهة . لم تكن الحاجة إذن تدعو لتدوين أحداث حياة الرسول وسيرته لاستغنائهم بالمشاهدة والحفظ ولانشغالهم بالغزوات والفتوحات غير أنه لم يكد جيل الصحابة — وهم شهود وحفاظ السيرة — يختفي حتى ظهرت الحاجة إلى تدوين وتسجيل السيرة النبوية ، والتأريخ للعهد النبوى فجيل التابعين — وهم الذين رأوا الصحابة وعاصروهم وتعلموا منهم — لم يروا بأنفسهم الأعمال الرائعة والجهاد المجيد الذى قام به الرسول ﷺ من أجل الرسالة الإسلامية وتبليغها للناس ، ولكنهم سمعوا عن ذلك من الصحابة ، فبهرتهم الأعمال والمواقف والأخلاق فتاقت نفوسهم لمعرفة كل شيء بالتفصيل ، ولم يفوتوا الفرصة ، بل عضوا عليها بالنواجذ ، وأخذوا يسألون الصحابة الذين صحبوا الرسول وضحوا معه ، وشهدوا جميع مشاهده ومواقعه ، ومن الأسئلة التى كانوا يسألونها — على سبيل المثال — متى وكيف كانت بيعة العقبة ، متى كانت الهجرة إلى الحبشة ، وكم عدد الذين هاجروا فى الأولى والثانية ؟ ومتى عادوا ، وكيف كانت غزوة بدر ، ومن الذين شهدوها ، هذه الأسئلة وأمثالها كانت تلقى على الصحابة ويجيبون عنها ، وأسلوب السؤال والجواب — كما هو معروف — من أهم روافد العلم ، خصوصا فى مراحل النشأة والتكوين .

بل إن القرآن الكريم حافل باستخدام أسلوب السؤال والجواب حتى فى مجال العقيدة وإثباتها ، وإقامة الحجة على الكافرين الجاحدين ، مثل قول الله تعالى : ﴿ **قل لمن الأرض ومن فيها إن كنتم تعلمون * سيقولون لله قل أفلا تذكرون * قل من رب السماوات السبع ورب العرش العظيم * سيقولون لله قل أفلا تتقون** ﴾ (١).

وكان من الطبيعي أن تكون المدينة المنورة ، هى أصلح بيئة للإجابة عن كل ما يتعلق بحياة الرسول وسيرته ن حيث عاش معظم الصحابة الذين عايشوا أحداث الإسلام الكبرى فى عهد الرسول ، ونقلوها للتابعين ، الذين لم يكتفوا بالتلقي والحفظ ، بل بدأوا تدوين الوقائع والأحداث كما سمعوها من الذين شاهدوها ، وكانت تلك لحظة البداية ، بداية التأليف فى السيرة النبوية . واتسعت دائرة السؤال والجواب ، ولم تعد قاصرة على المدينة وحدها ، بل سارع الناس فى خطى الصحابة فى كل مصر حلوا به ، مثل البصرة والكوفة ودمشق والفسطاط .. إلخ .

ومن حسن الحظ أن من كبار التابعين الذين بدأوا التدوين فى السيرة النبوية ، وأصبحوا مصدرا رئيسيا من مصادرها كانوا من أبناء كبار الصحابة الذين أخذوا العلم عن آبائهم الكرام ، وهم الذين

---

(١) المؤمنون : ٨٤ـ ٨٧ .

رأوا كل شىء وشاركوا بأنفسهم ، بل كان من أوائل علماء الســـيرة من هم على صلة قريبة ووثيقة ببيت النبى ﷺ مثل عروة بن الزبـــير بن العوام ، فأمه أسماء بنت الصديق ــ رضى الله عنهما ــ وخالتـــه أم المؤمنين عائشة ــ رضى الله عنها ، فتتلمذ عليـــها ونقـل عنـــها أخبارا كثيرة عن حياة النبى وسيرته وقد قسم العلماء كتـــاب الســـيرة النبوية والمؤلفين فيـــها إلـــى طبقـــات . والطبقـــة فـــى اصطـــلاح المحدثين ، هم جماعة تقاربوا فى السن ، واجتمعوا فى لقاء الشيوخ .

# طبقات كتاب السيرة

## رجال الطبقة الأولى من كتاب المغازى والسير

### ١ــ أبان بن عثمان :

هو ابن الخليفة الثالث عثمان بن عفان ــ رضى الله عنه ــ ولد فى المدينة المنورة حوالى سنة عشرين للهجرة ، وتوفى فيـــها فـــى خلافة يزيد بن عبد الملك بن مـــروان ١٠١ــ ١٠٥ علـــى أرجـــح الأقوال ، وقد نشأ أبان فى كنف أبيه ، الخليفة الراشد ، أحد الســابقين إلى الإسلام والمبشرين بالجنة والذى كانت تســتحى منـــه الملائكـــة كما أخبر الصادق الأمين ﷺ ، فهو من كبار الصحابة وفضلائـــهم ، وبيته من أصلح وأطهر البيوت ، فى أصلح وأطهر بيئة على وجـــه الأرض فى ذلك الزمان ، وهى بيئة المدينة المنورة ، فى هذا الجـــو وتلك البيئة وذلك البيت ــ حيث الصلاح والتقى ــ نشأ أبان وتعلـــم ، حتى أصبح من كبار فقهاء المدينة المعدودين والمشهورين .

ومن أعلام رواة الحديـــث الشـــريف . فقـــد روى عـــن أبيـــه ــ رضى الله عنه ــ وغيره من كبار الصحابة . كما تتلمذ على يديـــه كثيرون من كبار المحدثين والفقهاء ، أمثال محمد بن مسلم بن شهاب

الزهري ، أستاذ إمام المؤلفين في السيرة النبوية وعمدتهم ، محمد بن إسحاق بن يسار المطلبي .

ولقد اشتهر أبان بن عثمان بالمغازي والسير ــ فوق شهرته في الفقه والحديث ــ حتى أصبح من أساتذة هذا الفن الحائزين على ثقة العلماء ، فقد قال ابن سعد في الطبقات ، وهو يترجم للمغيرة بن عبد الرحمن بن الحارث بن هشام بن المغيرة ، قال عنه :" كان ثقة قليل الحديث ، إلا مغازي رسول الله ﷺ أخذها عن أبان بن عثمان " (١).

فهذا الخبر على وجازته يؤكد أستاذية أبان بن عثمان في المغازي والسير ، فقد كان الحديث والمغازي والسير من أحب الأشياء إلى أهل المدينة ، ولعل ابتعاد أبان عن الاشتغال بالسياسة ــ باستثناء الفترة التي عمل فيها واليا على المدينة من سنة ٧٥ إلى سنة ٨٣هـ ــ في خلافة عبد الملك بن مروان ــ أقول لعل ابتعاده عن السياسة ــ وقد عمر طويلا حيث نيف على الثمانين عاما ــ قلته من التفرغ للعلم ، درسا تدريسا ، وإذا كانت مؤلفاته قد ضاعت ــ فما ضاع أو تلف من تراث الإسلام .

ولم تصل إلينا ، فقد بقيت لنا ــ من حسن الحظ ــ رواياته وآراؤه في المصادر التي وصلتنا بروايات تلاميذه .

---

(١) انظر الطبقات الكبرى لابن سعد جـ ٥ ص ١٧٩ .

## ٢ــ عروة بن الزبير :

هو الرجل الثانى من رجال الطبقة الأولى من كتـــاب المغـــازى والسير ، وأبوه الزبير بن العوام بن خويلد ، أحد السابقين الأولين إلى الإسلام ، وأحد المبشرين بالجنة ، وهو حوارى الرســـــول ﷺ وابـــن عمته صفية بنت عبد المطلب ، وخديجة أم المؤمنين ــ رضـــــى الله عنهما عمته ، أى عمة الزبير بن العوام ، أما أم عـــــروة فـــهى ذات النطاقين السيدة أسماء بنت أبى بكر الصديق ــ رضى الله عنـــهما ــ وخالته عائشة أم المؤمنين ، وأحب أزواج النبى إليه ، وقد ولد عـــروة فى المدينة المنورة ، حوالى سنة ٢٦هــ ، على أرجـــــح الأقـــوال ، لأنه كان صغير السن عندما حدثت موقعة الجمل سنة ٣٦هــ ، ولـــم يشهدها فقد قال هو فى نفسه : "رددت أنا وأبو بكر بن عبد الرحمـــن ابن الحارث بن هشام ، يوم الجمل ، استصغرونا " .

فالبيت الذى نشأ فيه عروة ركناه أبوه الزبير بن العوام ، حوارى الرسول وأمه ذات النطاقين ، أسماء بنت الصديـــق ، أمـــا أســـتاذته الكبرى ومعلمته فهى خالته ، السيدة عائشة أم المؤمنين ، التى كـــان كثير التردد عليها ، والمداومة على زيارتها والتعلم منـــها والحديـــث إليها .

وإذا كان عروة قد شهد ـــ وهو صبى فى العاشرة مـــن عمـــره تقريبًا الفتنة الكبرى التى حلّت بالمسلمين وزلزلـــت كيانـــهم ، فـــى الشطر الثانى من خلافة عثمان بن عفان سنة ٣٠ـــ ٣٥هـــ ـــ والتـــى استغرقت عهد على بن طالب كله ـــ ٣٥ـــ ٤٠هـــ فإن الله ســـبحانه وتعالى قد تدارك الأمة الإسلامية برحمته ، ووحد كلمتها فـــى عـــام ٤١هـــ وهو العام الذى سماه المسلمون عام الجماعة ـــ بعـــد الفتنـــة والفرقة ـــ حينما تنازل الحسن بن على رضـــى الله عنـــهما ، عـــن الخلافة لمعاوية بن أبى سفيان ـــ رضى الله عنهما ـــ إيثاراً لمصلحـــة الأمة ، وحقنا لدماء المسلمين ، مصدّقًا بذلك نبوءة جده عليه الصـــلاة والسلام ، حيث قال عنه : ابنى هذا سيِّد ـــ يقصد الحسن ـــ ولعل الله يصلح به بين فئتين عظيمتين من المسلمين " (١).

ولقد استفتح معاوية ـــ رضى الله عنه ـــ عهده بالإحســـان إلـــى أهل المدينة بصفة عامة ، وإلى الصحابة وأبنائهم بصفـــة خاصـــة ، وأغدق عليهم من الأموال ما أتاح لهم التفرغ للعلم والتعليم ، فزخـــر مسجد الرسول ﷺ بأعداد هائلة من الفقهاء والمحدّثيـــن والمفســـرين وأصحاب السير والمغازى وكان عروة بن الزبير ، فارسًا من فرسان هذه الحلقات وأبرز رجالها .

---

(١) صحيح البخارى جـــ ٤ ص ٢١٦ .

فتروى المصادر ــ وكتب الطبقات ، أنه كان يجتمع كل ليلـــة ، بطريقة تكاد تكون منتظمة فى المسجد النبوى ، بمجموعة من كبـــار التابعين ومن رجال الطبقة الأولى منهم ، كانت تضم أخاه مصعـــــب ابن الزبير ، وأبا بكر بن عبد الرحمن ، وعبد الملك بـــن مـــروان ، وعبد الرحمن بن مسور ، وإبراهيم بن عبد الرحمن ، وعبيد الله بـــن عبد الله بن عتبة وقبيصة بن ذؤيب الخزاعـــــى ، ولـــم تكـــن هـــذه الاجتماعات سوى حلقات علمية ، يدور الحديث فيـــها عـــن العلـــوم الإسلامية من فقه وتفسير وحديث وســـير ومغـــازٍ ، وكمـــا اشـــتهر عروة بن الزبير بأنه أحد فقهاء المدينة السبعة الكبـــار ــ كمـــا هـــو الحال بالنسبة لأبان بن عثمان ــ فقد اشتهر بأنه من أكــــابر علمـــاء السيرة والمغازى ، وكان الناس ــ حتى زملائـــه فـــى الدراســـة ــ يتجهون إليه ، ليسألوه ويتعلموا منه السيرة النبوية بصفـــة خاصـــة ، لقربه من بيت النبى ، ولمعرفته أكثر من غيره بما كان يدور فى ذلك البيت الكريم عن طريق خالته السيدة عائشة ــ رضـــى الله عنـــها ــ فعبد الملك بن مروان ــ الخليفة الأموى المشهور ٦٥ــ ٨٦هـــ مـــع أنه كان أحد تلاميذ مدرسة المدينة المشهورين ومن فقهائـــــها ، وقـــد لقب بحمامة المسجد ، لشدة ملازمته مسجد الرســـول ﷺ ، وانكبابـــه على حلقات العلم ، وهو من زملاء عروة وأصدقائه ، إلا أنـــه كـــان كثير الرجوع إليه فى كل ما يتعلق بأحداث السيرة النبويـــة ، وذلـــك

عندما شغلته السياسة عن طلب العلم بعد أن أصبح خليفة ويبـــدو أن عروة قد ألف كتبًا كثيرة فى السيرة وغيرها ، فـــهناك خـــبر جديـــر بالتنويه ، يرويه ابن سعد [(1)]، عن هشام بن عروة أن أباه أحرق يـــوم الحرة ــ يقصد يوم وقعة الحرة المشهورة بين ثوار المدينة وجيـــش الخليفة الأموى يزيد بن معاوية بن أبى سفيان سنة ٦٣هـــ ــ عـــدة كتب ، وقد حزن كثيرا على فقدها فيما بعد ، فهذا الخبر يـــدل علـــى انتشار الكتابة والتأليف فى ذلك الوقت المبكر ، من عـــهد المســـلمين بالتأليف والتدوين العلمى .

وإذا كانت مؤلفات عروة بن الزبير لم تصل إلينا ، فقد حفظـــت لنا المصادر الباقية لدينا ، الكثير من المادة العلمية والروايات التـــى كان مصدرها عروة ، ففى سيرة ابن إســـحاق ومغـــازى الواقـــدى وطبقات ابن سعد وتاريخ الطبرى روايات كثيرة عن أحـــداث ســـيرة الرسول ﷺ ومغازيه عن عروة بن الزبير ، وقد توفـــى رحمـــه الله تعالى سنة ٩٤هـــ [(2)].

(١) الطبقات الكبرى جـ ٥ ص ١٣٣ .

(٢) انظر ترجمة عروة فى المصدر السابق جـ ٥ ص ١٧٨ــ ١٨٢ .

## ٣ـ شرحبيل بن سعد :

ثالث الثلاثة فى الطبقة الأولى من كتّاب السيرة المدنيين ؛ وهو مولى بنى خطمة ، نشأ فى المدينة ، وتلقى عن جمع من الصحابة ، منهم زيد بن ثابت وأبو هريرة ، وأبو سعيد الخدرى ، وغيرهم من كبار الصحابة [1]. وروى عن سفيان بن عيينة أنه لم يكن أحد أعلم بالمغازى والبدريين منه ، وبرهن موسى بن عقبة أن شرحبيل دوّن قوائم بأسماء المهاجرين إلى المدينة ، وأسماء الرجال الذين اشتركوا فى غزوتى بدر وأحد [2]. وقد امتد العمر بشرحبيل ، حيث توفى عام ١٢٣هـ .

## ٤- وهب بن منبه

يعتبر وهب بن منبه من رجال الطبقة الأولى من كتّاب المغازى والسير وهو من مواليد اليمن ، فقد ولد فى قرية تسمى زمار بجوار صنعاء حوالى سنة ٣٤هـ .وهو من هذه الناحية ــ ناحية النشأة والميلاد ــ يختلف عن الرجال الثلاثة الذين سبق الحديث عنهم ، فكلهم مدنيون ، نشأوا فى مدينة الرسول ﷺ . ومعنى هذا الاهتمام

(١) انظر الطبقات الكبرى لابن سعد جـ ٥ ص٣١٠ وفيها ترجمة لشرحبيل بن سعد .

(٢) انظر كتاب: المغازى الأولى ومؤلفوها. ليوسف هوروفيتس. ترجمة د/حسين نصار.

بالمغازي والسِّير لم يعد مقصوراً على أهل المدينة وحدهم ، بل أصبح الاشتغال بها موضع اهتمام من العلماء في كل الأقطار الإسلامية . ويختلف مؤرخو وهب بن منبه حول نسبه ، فمنهم من يرى أنه من أصل يهودي ، ومنهم من يرى – وهو الأرجح – أنه من أصل فارسي ؛ أي من الفرس الذين سكنوا اليمن – في فترة السيطرة الفارسية وسموا بالأبناء ، ولكن الأهم من هذا كله أنه قد نشأ في أسرة مسلمة ، اشتهر معظم رجالها بالعلم ، وكانوا أهل ثقة عند العلماء [1] ، وقد تأثر وهب بالجو العلمي الذي كان يحيط به في أسرته ، وروى عن طائفة من الصحابة ، منهم أبو هريرة ، وعبد الله ابن عمر بن الخطاب ، وعبد الله بن عباس ، وأبو سعيد الخدري ، وجابر بن عبد الله وغيرهم وعنده من علم أهل الكتاب شيء كثير ، وحديثه في الصحيحين عن أخيه همام بن منبه ، وكان ثقة واسع العلم [2]. ويعتبر من العلماء الموسوعيين ، الذين تناولوا موضوعات شتى ، فقد كانت له عناية واهتمام بأحاديث أهل الكتاب الذين كثر عددهم في جنرب بلاد العرب ، وهو من الثقات المعتمدين خاصة في

(١) انظر طبقات ابن سعد جـ ٥ ، ص ٥٤٣، وتذكرة الحفاظ للذهبي، جـ ١، ص ١٠٠ وفيهما ترجمة لوهب .

(٢) تذكرة الحفاظ ، جـ ١ ، ص ١٠٠ – ١٠١ .

قصص الأنبياء [1]. ويرجح أنه كتب كثيرًا فى المغازى والسير ، مما جعل العلماء يضعونه بين رجال الطبقة الأولى من علماء هذا الفـن . ويوجد فى مجموعة البرديات الموجودة فى مدينة هيدلبرج فى ألمانيـا مجلد ، يقول عنه بيكر : إنه يرجح أنه يحتوى على قطعة من كتـاب المغازى لوهب بن منبه ، وتاريخ نسخ هذه القطعة عام ٢٢٨هـ . وفيها معلومات عن بيعة العقبة الكبرى ، وحديث قريش فـى دار الندوة ــ الذى قرروا فيه قتل النبى ﷺ والاستعداد للـهجرة نفسـها ، ووصول النبى ﷺ إلى المدينة [2] .

وهكذا أسهم وهب بن منبه إسهامًا طيبًا فى إثراء حركة التـأليف فى المغازى والسير وعاش حياة علمية ثرية حتـى توفـاه الله سـنة ١١٠هـ .

---

(١) المغازى الأولى ومؤلفوها . مرجع سبق ذكره ص ٣٠ــ ٣١ .

(٢) انظر المرجع السابق ص ٣٤ ــ ٣٥.

# رجال الطبقة الثانية من كتّاب المغازى والسير

لا يعنى تقسيم علماء المغازى والسير إلى طبقات ؛ أولى وثانية وثالثة .. إلخ ، أنه لا تبدأ الطبقة الثانية إلا إذا انتهت الطبقة الأولى ، لأنه ليس هناك حد زمنى فاصل بين هذه الطبقات ، فالعلم متصل ، وحلقاته ممتدة ومستمرة ، وأجيال العلماء متداخلة ، وربما يكون الواحد منهم تلميذا وأستاذا فى نفس الوقت ، بل المقصود من هذا التقسيم ، تمييز رجال كل مرحلة عن التى سبقتها والتى تلتها . وكلما امتد الزمن اتسعت دائرة العلم وزاد عدد العلماء وتلاميذهم ؛ ولذلك سنجد فى هذه الطبقة الثانية ، حشدًا كبيرًا من علماء المغازى والسير ذوى المكانة العلمية الرفيعة ، خاصة فى مدينة الرسول ﷺ .

ويكفى أن نلقى نظرة على سيرة ابن إسحاق ــ الذى سنخصه بحديث مفصل فى هذا الكتيب لتميزه وإمامته فى ميدان السيرة النبوية ــ والتى جاءتنا عن طريق عبد الملك بن هشام برواية زياد بن عبد الله البكائى ، ليعرف مدى الحجم الذى وصل إليه عدد العلماء ، وكيف كان اهتمام هذا الجيل بسيرة الرسول ﷺ فابن اسحاق يروى مباشرة بطريق المشافهة ، عن أكثر من مائة راوٍ من علماء المدينة ، وكلهم يروى عنه بقوله : حدثنى فلان ، أو أخبرنى فلان ، أو سألت

فلانا فأخبرنى ، فبالإضافة إلى أستاذه الأكبر محمد بن مسلم بن شهاب الزهرى ، نجده يروى عن عدد كبير من العلماء ، كثيرون منهم من أسرة واحدة ، مثل آل الزبير ومواليهم ، فهو يروى عن هشام بن عروة بن الزبير ، وعن يحيى بن عروة بن الزبير ، وعن عمر بن عبد الله بن الزبير ، وعن محمد بن جعفر بن الزبير وعن يحيى بن عباد بن عبد الله بن الزبير ، وعن يزيد بن رومان ، مولى عروة بن الزبير ، وغيره من مواليهم ، ورواية ابن إسحاق عن هشام بن عروة عن أبيه، أو عن الزهرى عن عروة بن الزبير ، لها قيمتها الكبرى من ناحية التوثيق العلمى ، فهى مرفوعة فى أغلب الأحوال إلى السيدة عائشة ، أم المؤمنين ، رضى الله عنها ، وإذا رفعت الرواية عن الثقات ، عن سيرة الرسول ﷺ ، إلى السيدة عائشة ، كانت هى الصدق بعينه ، كذلك يروى ابن إسحاق عن نافع مولى عبد الله بن عمر بن الخطاب ، وعن عاصم بن عمر بن قتادة الأنصارى ، وعن عبد الله بن أبى بكر بن حزم الأنصارى ، وعن أبيه إسحاق بن يسار . ورجال هذه الطبقة ــ الثانية ــ من علماء المغازى والسير ، هم أساتذة محمد بن إسحاق وشيوخه المباشرون ، ولكثرة عددهم فمن الصعب الحديث عنهم كلهم فى حيز هذا الكتيب ، ولذلك سنقصر الحديث على أشهرهم وأكثرهم تأثيراً فى إثراء حركة التأليف فى ميدان المغازى والسير ، ويأتى على رأس القائمة :

## ١ ــ محمد بن مسلم بن شهاب الزهري (١).

ينتسب الزهري إلى بني زهرة ، وهم أخوال النبي ﷺ ، وهو من كبار التابعين وأعلامهم ، ويعتبر من أعظم مؤرخي المغازي والسير، وإليه يرجع الفضل في تأسيس مدرسة المدينة التاريخية ، إلى جانب كونه من كبار الفقهاء والمحدثين . وقد رأى الزهري عشرة من الصحابة ، وتتلمذ على كبار علماء التابعين وأعلامهم ، ومنهم سعيد بن المسيب ، وعروة بن الزبير ، وأبو سلمة بن عبد الرحمن بن عوف ، وعبيد الله بن عبد الله بن عتبة وهؤلاء هم الذين كان الزهري يعتبرهم بحور قريش في العلم .

وروى عن الزهري جماعة من العلماء الأئمة الأعلام ، يأتي في مقدمتهم فقيه المدينة وعالمها الأشهر ــ الذي قيل عنه لا يفتي ومالك في المدينة ــ مالك بن أنس الأصبحي ، وسفيان بن عيينة ، وسفيان الثوري وقد ذاع صيت الزهري ، وأصبحت له مكانة علمية رفيعة في أوساط العلماء ، فقد سئل مكحول الدمشقي : من أعلم من رأيت ؟ فقال: ابن شهاب ، قيل له ثم من؟ قال : ابن شهاب ، قيل له ثم من ؟ قال : ابن شهاب كان قد حفظ علم الفقهاء السبعة ــ يقصد فقهاء المدينة المشهورين ــ وكتب عمر بن عبد العزيز وهو خليفة ــ إلى

(١) انظر ترجمة الزهري في وفيات الأعيان لابن خلكان ، جـ ٤ ص ١٧٧وما بعدها ، وفي تهذيب التهذيب لابن حجر العسقلاني ، جـ ٩ ، ص ٤٤٨ وما بعدها .

سائر الأقاليم : "عليكم بابن شهاب ، فإنكم لا تجدون أحدًا أعلم بالسنة الماضية منه"[1]. فعمر بن عبد العزيز ـ وهو من هو ـ لا يقول مثل ذلك الكلام عن ابن شهاب إلا إذا كان الرجل فعلا يستحق هذا الثناء من الخليفة العالم ، بما بلغ من مكانة علمية . والحق أن ابن شهاب كان موضع احترام وإجلال خلفاء بنى أمية ، لأنه إلى جانب تبحره فى العلوم ، كان يحترم نفسه ، ولم يداهن فى الحق[2] .

وقد امتاز محمد بن شهاب الزهرى عن معاصريه بكثرة الكتابة والتدوين واقتناء الكتب . وكان إذا جلس فى بيته بين كتبه اشتغل بها عن كل شيء سواها من أمور الدنيا ، حتى يروى أن امرأته كانت تقول له : " إن هذه الكتب أشدُّ علىَّ من ثلاث ضرائر " [3]. لاشتغاله بها عنها .

وكان اهتمام الزهرى بالكتابة والتدوين هو الذى مكّنه من نشر علمه ، وبوأه تلك المكانة العلمية الرفيعة التى حظى بها فى أوساط العلماء ، وفى بلاط الخلفاء ومجالسهم ، وكان هو شديد الفخر بذلك ، وروى عنه أنه كان يقول : "ما نشر أحد من الناس هذا العلم نشرى ، ولا بذله بذلى " .ولقد ضاع ما كتبه ودونه الزهرى بنفسه ، ولم يصل

---

(١) انظر وفيات الأعيان ، جـ ٤ ، ص ١٧٧ .

(٢) انظر المغازى الأولى ومؤلفوها ، ص ٥٨ .

(٣) انظر وفيات الأعيان ، جـ ٤ ، ص ١٧٧ .

إلينا كما هو . ولولا ما بقى لنا من علمه مما رواه تلامذته ــ وبصفة خاصة أشهرهم وأنبغهم محمد بن إسحاق ــ لكانت خسارتنا فادحة ، فإلى ابن إسحاق يرجع الفضل الأكبر فى حفظ علم أستاذه الزهرى ، فهو الذى أوصله إلينا ، لأنه كانت تربطه بأستاذه علاقة متينة قائمة على الحب والاحترام ، ومما دل على قوة تلك العلاقة ومتانتها ، ورفعة مكانة ابن إسحاق عند أستاذه وثقته فيه ، أنه كان يعتبره مرجعه الأول فى كل ما يتعلق بسيرة الرسول ﷺ مما يحصل عليه من معلومات من طرق أخرى ليتثبَّت من صحتها . فعندما زار ابن إسحاق مصر والتقى بعالمها الكبير يزيد بن أبى حبيب ، وروى عنه العلم ، أرسل إلى أستاذه الزهرى ، ليتثبت من صحة بعض الروايات وذلك من أمثال القصة التالية فقد قال ابن إسحاق نفسه : " حدثنى يزيد بن أبى حبيب المصرى ، أنه وجد كتابا فيه ذكر من بعث رسول الله ﷺ إلى البلدان ، وملوك العرب والعجم ، وما قال لأصحابه حين بعثهم ، قال ــ ابن إسحاق ــ فبعثت به إلى محمد بن شهاب الزهرى فعرفه " (1). واسم الزهرى هو الأشهر والأكثر ذكراً فى سيرة ابن إسحاق ، وكثيرا ما يعبر فيما يتعلق بروايته عن الزهرى ، بقوله : حدثنى محمد بن مسلم بن شهاب الزهرى ،

---

(1) سيرة ابن هشام ، جـ ٤ ، ص ٢٩٩ .

وأحياناً يقول : حدثنى الزهرى فقط ، أو حدثنى ابن شهاب، أوسألت ابن شهاب الزهرى ، إلى غير ذلك من التعابير .

وكان للزهرى – الذى توفى سنة ١٢٤هـ – عدد آخر من التلاميذ غير ابن إسحاق ، وإن كانوا أقل شهرة من ابن إسحاق ، ومنهم موسى بن عقبة المتوفى حوالى عام ١٤١هـ . ومعمر بن راشد المتوفى حوالى عام ١٥٤هـ وهما من رجال الطبقة الثالثة ومن كبار علماء المغازى والسير .

## ٢ – عبد الله بن أبى بكر بن محمد بن عمرو بن حزم الأنصارى(١)

من علماء الطبقة الثانية من مؤلفى المغازى والسير ، وهو مدنى – أى من أهل المدينة – وكان جده الأعلى عمرو بن حزم أحد صحابة رسول الله ﷺ وقد ولاه الرسول على نجران ، وكتب له كتاباً حين بعثه ، أمره فيه بتقوى الله فى أمره كله ، ثم أمره بقبض الصدقات وتوزيعها على مستحقيها ، وأن يعلمهم القرآن والسنة ويفقههم فى الدين . أما جده المباشر ، محمد بن عمرو فقد قيل إن له رؤية – أى رأى رسول الله ﷺ وتوفى عام ٦٣هـ أما أبوه أبو بكر فقد ولى قضاء المدينة المنورة أثناء ولاية عمر بن عبد العزيز عليها من سنة ٨٧ إلى سنة ٩٣هـ . وذلك فى خلافة الوليد بن عبد الملك

(١) انظر ترجمته فى سير أعلام النبلاء للذهبى ، جـ ٥ ، ص ٣١٤ .

ابن مروان ٨٦هـ - ٩٦هـ . ثم أصبح واليا على المدينة فى خلافة سليمان بن عبد الملك بن مروان ٩٦هـ - ٩٩هـ . وخلافة عمر بن عبد العزيز ٩٩هـ - ١٠١هـ .. وقد عرف بمقدرته الفائقة فى رواية الحديث ، وكان من الثقات ، ولذلك عهد إليه عمر بن العزيز - أثناء خلافته - بجمع أحاديث رسول الله ﷺ .

يقول عنه الذهبى [١] : " أمير المدينة ثم قاضى المدينة ، أحد الأئمة الأثبات وقيل كان أعلم أهل زمانه بالقضاء .

وقال عنه الإمام مالك بن أنس : " ما رأيت مثل ابن حزم ، أعظم مروءة وأتم حالا ، ولا رأيت من أوتى مثل ما أوتى ، ولاية المدينة والقضاء والموسم " [٢] وهو من شيوخ ابن إسحاق .

فعبد الله بن أبى بكر نشأ إذن فى بيت علم وقضاء وإمارة ، وورث عن أبيه مواهبه ، واختص برواية الحديث - خاصة الأحاديث المتصلة بالمغازى - وكان حجة فى ذلك وهو أحد مصادر كبار علماء السيرة والمؤرخين ، فقد روى عنه ابن إسحاق ، ومحمد ابن عمر الواقدى ، ومحمد بن سعد - كاتب الواقدى ، والطبرى . خاصة الروايات التى تتصل بأخبار الرسول فى المدينة ووفود القبائل ، إلى رسول الله - فى عام الوفود - وأخبار تتعلق بحروب الردة ، وكانت زوجته فاطمة بنت عمارة راوية للحديث ، وكانت تروى عن عمرة بنت عبد الرحمن بن سعد بن زرارة ، وعمرة كانت

(١) المصدر السابق ، نفس الجزء والصفحة .

(٢) انظر سير أعلام النبلاء للذهبى ، جـ ٥ ، ص ٣١٤ .

تروى عن السيدة عائشة ـــ أم المؤمنين رضى الله عنها ـــ وكان هـــو يروى عن زوجته، بل كان يسمح لها أن تحدث الغير بما عندها مـــن أخبار عن السيرة النبوية ـــ فقد أخبر الطبرى ، عن محمد بن إسحاق أنه دخل على عبد الله بن أبى بكر ـــ ابن حـــزم ـــ فقـــال عبـــد الله لامرأته فاطمة : " حدثى محمدًا ما سمعت من عمـــرة بنـــت عبـــد الرحمن ، فقالت : سمعت عمرة تقول : سمعت عائشة تقول .. إلـــخ ، ويروى الطبرى عن محمد بن إسحاق ـــ أيضًا ـــ عن عبـــد الله بـــن أبى بكر قال : كان جميع ما غزا رسول الله ﷺ بنفسه ستا وعشرين غزوة ، أول غزوة غزاها ودّان ، ثم بواط .. إلخ .

وعلى الجملة فقد كان عبد الله بن أبى بكر بن محمد بن عمـــرو ابن حزم الأنصارى عظيم الأثر فى كتب السير والمغازى ، وكـــان له من بيته العظيم فى الأنصار ـــ وهو بيت علم وقضـــاء وإمـــارة ـــ وتزّوجه من فاطمة بنت عمارة الأنصارية والتى كانت تـــروى عـــن عمرة بنت عبد الرحمن ، التى تروى بدورها عن السيدة عائشة ـــ أم المؤمنين رضى الله عنها ، كان له من كل ذلك ما يســـر لـــه جمـــع الأحاديث التى تتصل بالمغازى (١) ، وأن يصبح مصدراً كبيراً مـــن مصادرها ، وأحد أعـــلام الطبقـــة الثانيـــة مـــن علمـــاء المغـــازى والسير .

---

(١) ضحى الإسلام ـــ أحمد أمين ، جـــ ٢ ، ص ٣٢٤ ـــ ٣٢٥ .

## ٣ــ عاصم بن عمر بن قتادة :

يعتبر المؤرخون عاصما أحد رجال الطبقة الثانية البارزين من كتّاب المغازى والسير ، وجده قتادة بن النعمان الظفرى الأنصارى كان من صحابة رسول الله ﷺ وشهد معه بدراً وأحدًا ، ويوم أحد أصيبت عينه وسقطت على وجنتيه ، فردّها رسول الله ﷺ فعادت أحسن عينيه وأحدّهما (١).

ولما كان قتادة أحد الصحابة المجاهدين الذين شهدوا المشاهد مع رسول الله فقد روى لابنه عمر ما شهده وشاهده بنفسه من مغازى وسير وأخبار رسول الله ، ورواها عمر لابن عاصم الذى أصبح حجة فى ذلك ، قال عنه محمد بن سعد : " وكان راوية للعلم ، وله علم بالمغازى والسير ولتبحره فيهما فقد كلّفه الخليفة عمر بن عبد العزيز ٩٩ــ ١٠١ أن يجلس فى المسجد الأموى فى دمشق ليحدث الناس عن المغازى ومناقب الصحابة ففعل (٢). وكان من المصادر المهمة التى اعتمد عليها أصحاب السير والمغازى ، مثل محمد بن إسحاق ومحمد بن عمر الواقدى ، وقد توفى عاصم عام ١٢٠م وقيل عام تسع وعشرين .

---

(١) انظر سيرة ابن هشام جـ ٣ ص ٣١ .

(٢) انظر السيرة النبوية للشيخ محمد أبو شهبة ، ص ٢٥ .

# رجال الطبقة الثالثة من كتّاب المغازى والسير

قلنا فى صدر هذا البحث إن الكتابة والتأليف فى المغازى والسير خضعت لسنة التدرج والتطور ، وكلّما مرَّ الزمن اتسعت دائرة العلماء ، ولذلك ففرسان هذه الطبقة كثيرون ، ومن ثم فنحن مضطرون للحديث عن أشهرهم ، مثل موسى بن عقبة ، ومعمر بن راشد ، حديثاً موجزا ، ثم نتحدث بالتفصيل عن أشهر رجال هذه الطبقة على الإطلاق وإمام هذا الفن ، وهو محمد بن إسحاق ، لأهميته وتأثيره الكبير فى ذلك العلم الذى أصبح الناس فيه عيالا عليه ، حسب تعبير الإمام الشافعى ، رحمة الله تعالى عليه والآن إلى الحديث عن :

## ١ـ موسى بن عقبة :

هو مولى من الموالى ، وكان مولى لآل الزبير ، وقد مر بنا أن بيت الزُبيريين كان حافلاً بعدد هائل من العلماء ، خاصة فى ميدان المغازى والسير ، مثل عروة بن الزبير وابنيه هشام ويحيى وعمر ابن عبد الله بن الزبير ، ومحمد بن جعفر عبد الله بن الزبير ، ويحيى ابن عباد بن الزبير وقد عرفنا الصلة التى كانت تربط الزبيريين ببيت النبى ﷺ عن طريق خالتهم السيدة عائشة رضى الله عنها ـ

مما جعلهم مصدرا موثوقا به عن أخبار سير ومغازي رسـول الله ، وقد استفاد مواليهم من صلتهم بهم ، ومن أبرزهم عالمنا هـذا الـذى نحن بصدد الحديث عنه ، وهو موسى بن عقبة الذى كان له أخـوان أكبر منه سناً ، وهما إبراهيم بن عقبة ، ومحمد بن عقبـة ، وكـان الثلاثة من أبرز تلاميذ مدرسة المدينة المنورة فى الفقه والحديـث ، وإن كان عقبة قد برز واشتهر فى علم المغازى ، وكان ثقـة عنـد العلماء حتى استحق أن يقول عنه الإمام مالك بـن أنـس :"عليكـم بمغازى ابن عقبة ، وهى أصح المغازى"[1].

وقد كتب سيرة مختصرة موجزة ، لم تصل إلينا كاملة ، وإنمـا وصلتنا منها مقتطفات فى طبقات ابـن سـعد ، وتـاريخ الطـبرى ويروى موسى بن عقبة أن أحد موالى عبد الله بن عباس وهو كريـب ابن أبى مسلم ــ وضع عنده حمل بعير من كتب ابن عبـاس ، ممـا يدل على أن التدوين قد بدأ مبكرًا ، غير أن معظم مدونـات الفـترة الأولى قد ضاعت وقد توفى موسى بن عقبة سنة ١٤١هـ .

---

(١) انظر : ضحى الإسلام ، أحمد أمين، جـ ٢ ، ص ٣٢٧ ، والسيرة النبويـة للشـيخ محمد أبو شهبة ص ٢٦ .

## ٢ـ معمر بن راشد :

من رجال الطبقة الثالثة البارزين ، من كُتاب السير والمغازى ، وهو مولى من الموالى وكان من أهل الكوفة ، كما يقول ابن النديم[١]، ثم رحل إلى البصرة ثم اليمن ، وظل يتنقل بين هذه البلاد ، يتلقى العلم عن الشيوخ ، وكان أبرز شيوخه محمد بن مسلم بن شهاب الزهرى ، وكان هو من أنبل وأنجب تلاميذ الزهرى ـ بعد ابن إسحاق ـ ولذلك فأكثر ما يرويه معمر عن السير والمغازى ينسبه إلى شيخه ، الإمام الزهرى ، وكان يتحلى بخلق كريم ، وصفات حميدة كثيرة ، يقول عنه ابن سعد : " كان معمر رجلا له حلم ومروءة ونبل فى نفسه " [٢].

كما كان واسع العلم بالحديث والسير والمغازى ، وإن كان ابن النديم فى الفهرست لم ينسب له سوى كتاب واحد فى المغازى . فقد قال عنه : "معمر بن راشد من أهل الكوفة، يروى عنه عبد الرزاق ، من أصحاب السير والأحداث وله من الكتب ، كتاب المغازى" [٣].

وحتى هذا الكتاب لم يصل إلينا ، وإنما وصلنا منه مقتطفات فى الواقدى وابن سعد والبلاذرى والطبرى . وكانت وفاته سنة ١٥٠هـ أو ١٥٢هـ [٤].

---

(١) الفهرست ص ١٣٨ .

(٢) ضحى الإسلام جـ ٢ ص ٣٢٨ .

(٣) الفهرست ص ١٣٨ .

(٤) ضحى الإسلام ، جـ ٢ ، ص ٣٢٨ .

## ٣ـ محمد بن إسحاق المطلبى [(١)].

إذا نحن وصلنا إلى ابن إسحاق فقد وصلنا إلى إمام الأئمة وأكبر علماء السير والمغازى على الإطلاق ، وفى كل العصور ، ومن عليه كان اعتماد كل من كتب فى السيرة النبوية ومغازى الرسول ﷺ ممن جاءوا بعده .

فهو فارس هذا الميدان دون منازع ، ولقد شهد له بذلك جمع من العلماء ، منهم أستاذه ، محمد بن مسلم بن شهاب الزهرى ، حيث قال : " من أراد المغازى فعليه بابن إسحاق " وقال عنه الإمام الشافعى : " من أراد التبحر فى المغازى فهو عيال على ابن إسحاق " . ويقول عنه ابن خلكان وهو راوى هذه الأخبار : " وأما فى المغازى والسير فلا تجهل إمامته " وسئل يحيى بن معين عن ابن إسحاق فقال : " قال عاصم بن عمر بن قتادة ، لا يزال فى الناس علم ما عاش ابن إسحاق " وقال سفيان بن عيينة : " لا يزال

---

(١) انظر ـ فيما يتعلق بابن إسحاق وأخباره ومكانته العلمية وآراء العلماء فيه ، المصادر الآتية : ١ـ الطبقات الكبرى لاين سعد ، جـ ٤ ص ٣٢١ـ ٣٢٢ ـ طبعة دار صادر بيروت. ٢ـ الجرح والتعديل لابن أبى حاتم ، القسم الثانى من المجلد الثالث ص ١٩١ـ ١٩٤ ـ دار الكتب العلمية ـ بيروت . ٣ـ تاريخ بغداد للخطيب البغدادى ـ دار الكتاب العربى بيروت . ٤ـ الفهرست لابن النديم ـ دار المعرفة بيروت . ٥ـ تذكرة الحفاظ للذهبى جـ ١ ص ١٧٢ . ٦ـ لسان الميزان لابن حجر ، جـ ٥ ، ص ٧٢ ـ مؤسسة الأعلى للمطبوعات ، بيروت .

فى المدينة علم ما عاش هذا الغلام ــ يقصد ابن إسحاق " وقال عنه الذهبى ، وهو معروف بتحريه ودقته وصرامته فى الحكم على الرجال : " والذى تقرر عليه العمل أن ابن إسحاق إليه المرجع فى المغازى والأيام النبوية .. وكان أحد أوعية العلم ، حبرًا فى معرفة المغازى والسير "[1]. وأقوال العلماء فيه مستفيضة ، وكلها مجمعة على إمامته فى المغازى والسير ، لذلك رأينا أن نخصه بمزيد من التقصى والتفصيل لأخباره ، حتى يعرف المسلمون علماءهم ، وأصحاب الفضل فى إيصال أخبار وسير ومغازى وجهاد رسولهم وصحابته إليهم فمن هو ابن إسحاق .

هو محمد بن إسحاق بن يسار بن خيار ـ وقيل يسار بن كوتان ـ المطلبى بالولاء ، المدينى ؛ نسبة إلى مدينة الرسول ﷺ وكان يكنَّى بأبى بكر ، وقيل بأبى عبد الله ، وكان جده يسار من أهل قرية عين التمر بالعراق ، وقد وقع فى أسر المسلمين عندما فتح خالد بن الوليد رضى الله عنه عين التمر فيما فتح من أرض العراق سنة ١٢هـ فى خلافة أبى بكر الصديق رضى الله عنه ١١ــ١٣هـ وأرسل يسار بن خيار مع غيره من الأسرى إلى المدينة المنورة ــ عاصمة الدولة الإسلامية فى ذلك الوقت . ولا يعرف على وجه

(١) انظر تذكرة الحفاظ للذهبى ، جـ ١ ، ص ١٧٢ .

اليقين ما إذا كانت أسرته عربية أم أعجمية ، وإن كان ليس بعيـدا أن تكون عربية مسيحية ، وصار ولاء يسار إلى قيس بن مخرمة ابن المطلّب ، وقد أسلم فأعتقه مولاه ، ومن ثم نسب إليهم فلقب بالمطلّبي .

وكان ليسار بن خيار ثلاثة أولاد ؛ أحدهم إسحاق ، والد عالمنا الذى نتحدث عنه والذى طبقت شهرته الآفاق ، وهو محمد بن إسحاق الذى ولد فى المدينة المنورة ، حوالى عام ٨٥هـ ـ ونشأ بها ـ وقد سبق أن أشرنا كثيرا إلى بيئة المدينة وفضلها وصلاحها وحركتها العلمية الواسعة فى مسجد الرسول ﷺ ولا ينكر أحد فضل البيئة والوسط المحيط وتأثيرهما فى تنشئته الناشئة ، وأى بيئة أفضل من بيئة مدينة رسول الله ﷺ وصحابته وتابعيهم ، ولم تكن البيئة والجو العام الذى أحاط بابن إسحاق هو الذى أثر فيه فقط ، بل كانت بيئته الخاصة ذات تأثير فيه كذلك ، فأبوه إسحاق ابن يسار كان من العلماء وكان محدثا وفقيها ، روى عنه ابنه محمد ، وكثيرًا ما نجده يقول حدثنى أبى إسحاق بن يسار .

وقد أدرك ابن إسحاق بعض الصحابة ممن طالت أعمارهم ، فقد رأى أنس بن مالك صاحب رسول الله ﷺ وخادمه المشهور رضى الله عنه . وتتلمذ على كبار التابعين ، من أعيان علماء المدينة المنورة وفقهائها المعدودين المشهورين ، ومنهم القاسم بن محمد

ابن أبى بكر الصديق ، وأبان بن عثمان بن عفان ــ وهو من رجــال الطبقة الأولى من علماء المغازى والسير ، كما سبق القول عنـــه ــ ومنهم محمد بن على بن الحسين بن على بن أبى طالب ، وأبو سلمة ابن عبد الرحمن بن عوف ، ونـــافع مولـــى عبـد الله بـن عمـر ابن الخطاب ، وعاصم بن عمر بن قتادة بن النعمـــان الأنصـــارى . وعبد الله بن أبى بكر بن محمد بن عمرو بـــن حـــزم الأنصـــارى ، وغيرهم .

وقد سبق القول أن أستاذه الأكبر ، والذى كان أثره فيـــه أكـــبر وأوضح من غيره ، هو محمد بن مسلم بن شهاب الزهرى .

## رحلته إلى مصر

لم يكتف ابن إسحاق بأنه ولد ونشا فى مدينة الرسول ، وتنفـــس هواءها المعطر بأريج النبوة ، وعطر الصحابة الكرام ، بـــل أراد أن يتزوّد من علم الصحابة الآخرين ، الذين تفرقوا فى الآفـــاق ونزلـــوا وسكنوا الأمصار المفتوحة ، فمن المعلوم أن جمعاً كبيراً من حملـــة العلم النبوى من صحابة رسول الله ﷺ ــ قد شاركوا فى الفتوحـــات الإسلامية ، بدءا من عهد الخليفة الأول أبى بكر الصديق رضـــى الله عنه ــ ومروراً بعهود الخلفاء الراشدين الثلاثـــة الآخريـــن ، عمـــر ابن الخطاب ١٣ ــ ٢٣ هــ وعثمان بن عفان ٢٣ ــ ٣٥ هــ وعلى

ابن أبى طالب ٣٥ ــ ٤٠ هــ رضى الله عنهم جميعاً ، وكثير من هؤلاء الصحابة لم يعودوا إلى المدينة ، وإنما استوطنوا البلاد المفتوحة ، وعاشوا حياتهم كلها فيها ، وأصبحوا معلمين ولهم مدارس ، وتلاميذ ، فأراد بن إسحاق أن يتزود من علم هؤلاء ومن علم تلاميذهم ، وأن يطلع على اتجاه مدارسهم وأفكارها فكانت رحلته الأولى إلى مصر ، التى أصبحت منذ أن تم فتحها على يد الفاتح الكبير البطل الجليل عمرو بن العاص ، سنة ٢١ هــ . مركزًا من مراكز العلوم الإسلامية ، فقد أسس الفاتح عمرو بن العاص مدينة الفسطاط سنة ٢١ هــ أى عند تمام الفتح ، وأسس مسجده العتيق ــ أو تاج الجوامع ــ الذى يعتبر أول مسجد يؤسس فى قارة أفريقيا والذى أصبح مركزًا للدراسات الإسلامية ، ومدرسة من أشهر المدارس أساتذتها هم صحابة رسول الله ﷺ سواء الذين جاءوا مع جيش الفتح مجاهدين ، أو الذين لحقوا بهم وجاءوا بعد تمام الفتح وطاب لهم المقام فى أرض الكنانة ، وعلى ضفاف النيل واستقروا فيها ــ وقد ازدهرت المدرسة المصرية فى الدراسات الإسلامية ، وذاع صيتها ، وأصبحت لها مكانة علمية رفيعة ، فتاقت نفوس علماء الأقطار الأخرى إلى زيارتها وملاقاة علمائها والأخذ عنهم وإعطائهم أيضًا ، فالعلم أخذ وعطاء ، فما من عالم كبير فى المشرق ــ فى ذلك الوقت ــ سواء فى مكة المكرمة ، أو المدينة المنورة ،

أو الكوفة أو البصرة أو دمشق ، أو بغداد ، إلا ونراه قد زار مصر ، وتعرف على علمائها وأخذ عنهم وأعطاهم .

وكان من الطبيعى أن يتطلع طالب علم نابه مثل ابن إسحاق إلى زيارة بلد مثل مصر ، فشد رحاله إليها ــ وهو فى شرخ شبابه وفى مرحلة القوة والفتوة والقدرة على السفر ، والشد والترحال ، وحدة الذهن والقدرة على الحفظ والاستيعاب ، فقد بدأ زيارته لمصر عام ١١٥هـ ، أى عندما كان فى حوالى الثلاثين من عمره ، وقد تجول فى أقاليم مصر ، وزار مدينة الإسكندرية ــ التى كانت عاصمة مصر منذ أسسها الإسكندر الأكبر المقدونى ، فى الثلث الأخير من القرن الرابع قبل الميلاد إلى الفتح الإسلامى فى منتصف القرن السابع الميلادى أى أنها ظلت عاصمة مصر قرابة ألف عام ، وكانت بها مدرسة علمية لها شهرة عالمية ، فى علوم الطب والفلك والهندسة والرياضيات والكيمياء والفلسفة .

فكان من الطبيعى أن يزور ابن إسحاق الإسكندرية ما دام قد حل بأرض مصر .

وقد التقى ابن إسحاق بكثيرين من علماء مصر ، وفى مقدمتهم عالمها الأكبر ، يزيد بن أبى حبيب ، وروى عنه كثيرًا ، وقد أشرنا فيما سبق ــ ونحن نتحدث عن محمد بن مسلم بن شهاب الزهرى شيخ ابن إسحاق ــ إلى الوثيقة التى رواها ابن إسحاق عن يزيد

ابن أبى حبيب ، ثم عرضها على شيخه الزهرى ، ليتأكد من صحة المعلومات التى جاءت بها ثم التقى بعبد الله بن جعفر ، والقاسم بن قزمان ، وعبيد الله بن المغيرة وغيرهم . وبعد أن تزود من علم علماء مصر ـ وتأثر بهم وأثر فيهم ، واطلع على اتجاهات المدرسة المصرية فى الدراسات الإسلامية ، عاد إلى المدينة ليواصل دراسته على أيدى أساتذته فيها . ولم يغادرها بصفة نهائية ـ على ما يرجح ، إلا فى رحلته الأخيرة إلى العراق بعد قيام الدولة العباسية سنة ١٣٢هـ ، حيث عاش بقية حياته فيها .

## رحلته إلى العراق

عاش ابن إسحاق فى المدينة المنورة بصفة مستمرة حوالى نصف قرن ، ولم يغادرها إلا للحج إلى مكة المكرمة ، وزيارته لمصر سنة ١١٥هـ ـ والتى يبدو أنها لم تطل ـ ويبدو أن من الأسباب التى جعلت ابن إسحاق يلزم المدينة المنورة ولم يغادرها كثيرًا أن صلته لم تكن ودية مع دولة بنى أمية ، فلم نسمع أنه قام بزيارة لعاصمتهم دمشق ، وذلك عكس أستاذه محمد بن مسلم بن شهاب الزهرى ، الذى كان على علاقة وطيدة مع خلفاء بنى أمية ومنحوه ثقتهم ، خاصة أصلحهم وأعلمهم عمر بن عبد العزيز ، وقد رأينا فيما سبق ثناء عمر بن عبد العزيز على الزهرى . أما تلميذه

ابن إسحاق فلم نسمع منه أنه اتصل بأحد من خلفاء بنى أمية ، ولعل موقف ابن إسحاق هذا من الدولة الأموية كان منسجمًا مع موقف عامة أهل المدينة الذين كانوا لا يحملون وداً لبنى أمية ، ولم تنطو قلوبهم على حب لدولتهم وخلفائها ورجالها - باستثناء عمر ابن عبد العزيز - الذى كان موضع حب وإعجاب وثقة جميع المسلمين على اختلاف اتجاهاتهم ومشاربهم لسلوكه القويم وصلاحه وتقواه وعدله وطهارة سيرته - أما بقية خلفاء بنى أمية فلم يحظوا بحب أهل المدينة ولا رضاهم ، أو قل إن موقف أهل المدينة من خلفاء بنى أمية كان أقرب إلى العداء والبغضاء منه إلى الولاء والحب والود .

ولعل أهل المدينة لم ينسوا قط يوم الحرة أو موقعة الحرة التى جرت بينهم وبين جيش الخليفة الأموى يزيد بن معاوية سنة ٦٣هـ على أثر ثورتهم ضده التى قادها عبد الله بن حنظلة ، والتى انتهت بهزيمتهم وقتل الكثيرين منهم .

ونسب للجيش الأموى أعمال فظيعة إذا صحت تكون كارثة لأنها تخالف مبادئ الإسلام وآداب الحرب فيه حتى مع غير المسلمين فكيف مع مسلمين يعيشون فى جوار رسول الله ﷺ ، على أية حال لم ينس أهل المدينة ذلك اليوم ولم تصف نفوسهم لبنى أمية ، وظلت

ذكرى ذلك اليوم الحزين عالقة فى نفوسهم ، وكان ابن إسحاق واحدا منهم ، شاركهم فى مشاعرهم تلك وليس هذا غريبًا .

لقد أطلت فى توضيح صلة أهل المدينة بصفة عامة ببنى أميــــة ومحمد بن إسحاق بصفة خاصة ؛ لأن العلاقات السياسية كـــانت ذات تأثير على معظم أوجه الحياة ، ورضا رجال السياسة عـــن العلمـــاء كان يعطيهم فرصة أكبر فى حرية الحركة والتجــــوال فـــى البـــلاد وزيارة المراكز العلمية ..

وتصديقًا لذلك ما إن سقطت دولة بنى أمية سنة ١٣٢هــ وقامت دولة بنى العباس حتى رأينا ابــــن إســـحاق يشـــد رحالـــه مغـــادرًا المدينة ــ التى لم يكد يبرحها قرابة نصف قرن ــ إلـــى العـــراق ، ويتجول فى أرجائها من الكوفة إلى الجزيرة ، وأخيرًا يلقـــى عصـــا تسياره فى المدينة المدورة أو مدينـــة الســـلام أو مدينـــة المنصـــور ــ بغداد ــ تلك المدينة التى أخذت ــ منذ نشأتها سنة ١٤٥هــــ ــ تخلب الألباب وتخطف الأبصار فـــهى مقـــام الخلافـــة ، وحـــاضرة الإسلام ، ومركز الأضواء والشـــهرة ، ومقـــر العلمـــاء والشـــعراء والأدباء ، فليس غريبًا أن يطيب المقام لابن إسحاق فى مدينـــــة لـــها كل تلك المميزات .

وقد اتصل ابن إسحاق ــ لعلمه وشهرته ــ بقمة الدولـــة ورأس الهرم الاجتماعى ، الخليفة الذائع الصيت ، ومؤســـس بغـــداد ، بـــل

المؤسس الحقيقي للدولة العباسية ـ أبي جعفر المنصور ، وتوثقت الصلة بين الرجلين ، حتى أشيع أن كتاب المغازي ـ أو ما عرف بسيرة ابن إسحاق وهو سبب شهرته ـ قد وضعه بناء على طلب المنصور لابنه محمد الذي سيعرف بالخليفة المهدي فيما بعد .

وقد عاش ابن إسحاق ما تبقى من حياته في كنف الخليفة المنصور في بغداد حتى وافته منيته سنة ١٥١هـ على أرجح الأقوال .

## علاقة محمد بن إسحاق بمالك بن أنس وهشام بن عروة

لا يكتمل الحديث عن ابن إسحاق إلا إذا عرفنا تلك الشخصية من مختلف جوانبها وفي كل أحوالها ، خاصة علاقته برجلين من كبار رجالات المدينة المنورة ، ومن ذوي النفوذ العلمي والكلمة المسموعة فيها ، وهما : مالك بن أنس الأصبحي ، الإمام المشهور ، ورأس المذهب الفقهي المعروف الذي ينسب إليه ، وثانيهما هو هشام بن عروة بن الزبير بن العوام ، فمعظم المصادر التي تناولت حياة ابن إسحاق وترجمت له تحدثت عن خلاف وقع بينه وبين كل من مالك بن أنس وهشام بن عروة . ولقد بالغ بعض الباحثين المحدثين [١] في أمر ذلك الخلاف حتى جعلوه أحد الأسباب

(١) انظر : " المغازي الأولى ومؤلفوها " ص ٧٨ .

التى حملت ابن إسحاق علـــى مغـــادرة مســـقط رأســـه ـــ المدينـــة المنورة ـــ إلى العراق . ونحن لا ننكر أمر الخلاف الذى كان بيـــن ابن إسحاق وبين كل من مالك بن أنس وهشام بـــن عـــروة ، فـــهذا الخلاف مشهور ، ومسطور فى معظم المصادر الموثوق منها .

ولكننا لا نرى أنه وصل إلى حد العداوة التى حملت ابن إســحاق على مغادرة موطنه ، فالخلاف بين بعض العلمـــاء ـــ والقـــائم فـــى معظمه على اختلاف وجهات النظر فى المسائل العلمية لم يكد يخلـــو منه جيل ولا قبيل من العلماء ، وهذه طبيعة البشر فى كـــل زمـــان ومكان ، والمعاصرة حجاب كما يقولون .

ورغم ذلك لم نسمع أن عالما ترك وطنه ورحل إلى غيره مـــن أجل خلاف حدث بينه وبين بعض أقرانه ، ثم لو كان ذلك الخـــلاف هو سبب مغادرة ابن إسحاق المدينة المنورة ، فلما ذا بقى فيها نصف قرن قبل مغادرها عند سقوط الدولة الأموية .

**وبعد :** فلعلك أيها القارئ الكريم قد تاقت نفسك إلى معرفة شيء من أمر هذا الخلاف الذى وقع بين هؤلاء الرجال الكبـــار والعلمـــاء الأفذاذ ، ولا تثريب علينا فى إيراد ذلك الخلاف ومعرفته ، فـــهؤلاء ليسوا ملائكة ، وإنما هم بشر ، يختلفون ويحبـــون ويكرهـــون بـــل ويتعادون ، وليس فى ذلك خروج علـــى طبـــائع الأشـــياء ، بشـــرط ألا يحمل ذلك أحدهم على الفحش والفجور فـــى حـــق مـــن يخالفـــه

أو يخاصمه ، وأعتقد أن الأمر بينهم لم يصل إلى شيء من هذا ، وحاشا لله أن يصل إلى هذا وهم من هم علمًا وتقى وصلاحًا ، ونحن نورد أمر هذا الخلاف لما كان له من أثر على موقف بعض العلماء من بن إسحاق ، خاصة فى روايته للحديث .

وفيما يتعلق بالخلاف بين ابن إسحاق ومالك بن أنس تتحدث المصادر فتذكر أن ابن إسحاق كان يطعن فى نسب الإمام مالك بن أنس الأصبحى ــ الذى ينسب إلى قبيلة أصبح العربية اليمنية ــ ويزعم أنه مولى من موالى بنى تميم ، ولا ندرى كيف يقول ابن إسحاق ذلك عن مالك فى مقام الانتقاص منه ، وهو نفسه مولى ، وكون الإنسان مولى لا ينتقص من قدره خاصة فى أوساط العلماء ، والولاء هنا هو ولاء المحالفة والمودة وليس ولاء العبد للحر .

وقد كان هناك رجال من الموالى العلماء الذين حازوا احترام كل الناس من عرب وعجم ، مثل الحسن البصرى ــ الذى قيل إنه عندما توفى سنة ١١٠هـ فى البصرة ــ خرج الناس جميعاً يشيعون جنازته حتى لم يوجد فى البصرة من يقيم صلاة العصر ، وكذلك كانت نظرة الناس لمحمد بن سيرين وغيره من الموالى ــ لهذا الأثر فى أن ما نسب لابن إسحاق فى ذلك صحيح ، لأنه لو كان فى الولاء نقص لعاد عليه هو نفسه .

أما الذى يمكن أن يكون سبباً من أسباب الخلاف ، فهو كثرة انتقادا بن إسحاق لعلم مالك ، فقد روى عنه أنه كان يقول : " ائتونى ببعض كتب مالك ، حتى أبين عيوبه ، أنا بيطار كتبه " فلما سمع مالك ذلك حنق على ابن إسحاق ، وحمل عليه وسفه علمه .

وقد روى الخطيب البغدادى عن أحدَ تلاميذا بن إسحاق ؛ وهو عبد الله بن إدريس أنه قال : قلت لمالك بن أنس : وقد ذكر المغازى ــ قال ابن إسحاق : أنا بيطارها ، فقال : هو قال لك أنا بيطارها ، نحن نفيناه من المدينة . ويضيف العلماء سبباً آخر للخلاف والجفاء بين ابن إسحاق ، والإمام مالك بن أنس ، فيقولون إن ابن إسحاق كان يتهم بالتشيع ، فعاداه مالك بن أنس ــ وهو إمام من أكبر أئمة أهل السنة ــ من أجل ذلك[1]. وإذا كان ذلك الاتهام صحيحًا فمن الجائز أن يكون أيضًا وراء الجفاء وعدم المودة بين ابن إسحاق والدولة الأموية . هذا عن الخلاف ــ وأسبابه ــ بين ابن إسحاق والإمام مالك بن أنس .

أما خلاف ابن إسحاق مع هشام بن عروة بن الزبير ، فترجعه المصادر التى تناولته إلى أن ابن إسحاق كان يروى الحديث عن فاطمة بنت المنذر ــ زوج هشام بن عروة ــ فأغضب ذلك هشامًا وأثار غيرته وحفيظته ، وقال : " متى دخل عليها ومتى سمع

(١) انظر، تاريخ بغداد للخطيب البغدادى جـ ١ ص ٢٢٣ ــ ٢٢٤.

منها ؟ " [1]. ويبدو أن رواية ابن إسحاق عن فاطمة بنت المنذر صحيحة ، أكدها سفيان الثورى حين سئل أكان ابن إسحاق قد جالس فاطمة بنت المنذر وسمع منها ؟ فقال : " أخبرنى ابن إسحاق أنها حدثته وأنه دخل عليها " [2]. وهذا الخبر فى حد ذاته ليس غريبًا ولا مستنكرًا ، إنما الغريب حقا هو غضب هشام بن عروة من ابن إسحاق ، وحملته عليه بسببه ، فرواية الرجال عن النساء وقعت وتقع كثيرًا ، ولم يستغربه أو ينكره أحد من علماء المسلمين ، وقد روى الصحابة والتابعون عن أمهات المؤمنين ــ أزواج النبى ﷺ ــ ولم يستنكر ذلك أحد . بل إن ابن إسحاق نفسه روى عن زوجة أستاذ آخر من أساتذته ، وهى فاطمة بنت عمارة الأنصارية زوج عبد الله ابن أبى بكر بن محمد بن عمرو بن حزم الأنصارى ، ولم ينكره ولم يعترض عليه ، بل يروى أن زوجها نفسه ــ عبد الله بن أبى بكر ــ هو الذى طلب منها أن تُحَدِّث ابن إسحاق وقال لها : " حدثى محمدًا ما سمعت من عمرة بنت عبد الرحمن " فقالت له : أى لابن إسحاق : " سمعت عمرة تقول : سمعت عائشة تقول .. إلى آخر الحديث " فرواية ابن إسحاق إذا عن فاطمة بنت المنذر ــ زوج هشام بن عروة ــ ليست حدثًا فريدًا نادر الوقوع ، بل هو أمر مألوف فى تراثنا

---

(1) انظر ، الفهرست لابن النديم ، ص ١٣٦ .

(2) تاريخ بغداد ، جـ ١ ، ص ٢٢١.

الإسلامي ولا غبار عليه . وفوق ذلك فإن فارق السن بين فاطمة بنت المنذر وبين تلميذها ابن إسحاق كبير وينتفي معه أي سبب للغـيرة ــ التي هي شيء طبيعي في طبائع الناس لو كان لها ما يبررها ــ فقـد ولدت فاطمة ــ زوج هشام ــ عام ٤٨هـ . وأما ابن إسحاق فقد ولد عام ٨٥هـ كما سبق ذكره ، فهي تكبره بسبع وثلاثين سنة .

## مكانة ابن إسحاق العلمية :

سبق الحديث عن مكانة ابن إسحاق العلمية وإمامتـه فـي علـم المغازي والسير ولا يكاد يوجد خلاف ـ بل هنـاك إجمـاع ـ علـى أنه إمام ورائد في ذلك الفن ، وكتابه في سيرة الرسول ﷺ ، عمدة في ذلك العلم الجليل ، وعليه اعتمد ومنه أخذ ونهل كل من كتب بعده فـي سيرة الرسول ومغازيه ، وإليك آراء العلماء في مكانة ابن إسـحاق ، ودرجة الثقة به في الحديث الشريف عن رجال الجرح والتعديل .

فمن المعلوم أن العلماء ــ خاصـة رجـال الجـرح والتعديـل أو من يسمَّون بعلماء الرجال ــ يتشددون للغاية فـي الحكـم علـى الرجال الذين يأخذون عنهم الحديث ، أكثر من تشددهم فـي الحكـم على رجال المغازي والسير ورواة التاريخ والأخبـار . وذلـك لأن الحديث الشريف هو المصدر الثاني من مصادر الشريعة الإسـلامية ــ بعد القرآن الكريم ــ وينبني عليه معرفة الحلال والحرام ، وأحكام

العبادات والمعاملات . لذلك وضع علماء الجرح والتعديل شـــــروطا قاسية لرجال السند ــ سند الحديث ــ وهم سلسلة الرواة ، وليس هنــا مكان تفصيل ذلك .

ورغم كل ذلك فإن معظم علماء الحديث يكادون يجمعون علـــى توثيق حديث ابن إسحاق ، فقد سئل يحيى بن معين ، وهو من هو فى علم الرجال ــ فقال : " كان ثقة حسن الحديث " (١). وقال شعبة بـــن الحجاج : " محمد ابن إسحاق أمير المؤمنين فى الحديث " ، وقـــال : " لو سوّد أحد فى الحديث لسوّد ابـــن إســـحاق " (٢). وســئل علـــى ابن المدينى عن ابن إسحاق ، كيف حديث محمد بن إسحاق عنـــدك ؟ صحيح ؟ قال : " نعم ، حديثه عندى صحيح " (٣). وقال أبـــو بكـــر ابن الأثرم : سألت أحمد بن حنبل عن محمد بن إسحاق كيف هـــو ؟ فقال : " هو حسن الحديث " (٤).

وقد روى عن الزهرى ــ شيخ ابن إسحاق ــ وقد خـــرج إلـــى قرية له وقد سار خلفه طلاب الحديث يسألونه فالتفت إليـــهم قـــائلا : " قد خلفت فيكم الغلام الأحول " (٥) ــ يعنى محمد بـــن إســـحاق ــ

---

(١، ٢، ٣، ٤ ، ٥) راجع فى كل ذلك : تاريخ بغداد جـ ١ ص ٢١٨ــ ٢٢٩ .

وذكر الساجي أن أصحاب الزهري كانوا يلجأون إلى محمد بن إسحاق فيما يشكون فيه من حديث الزهري ، ثقة منهم بحفظه [1].

هذه هي منزلة الرجل ، وتلك هي مكانته عند علماء الحديث ، فقد وثّقه وأثنى عليه شيوخه ، مثل الزهري وعاصم بن عمر ، كما أثنى عليه تلاميذه ، مثل شعبة بن الحجاج وسفيان بن عيينة ، كما وثّقه وأثنى عليه اللاحقون من كبار رجال الحديث ، وعلماء الجرح والتعديل ، مثل يحيى بن معين وأحمد بن حنبل ، وهما من أكثر العلماء تشدداً في قبول الأحاديث .

والجهة الوحيدة التي جاء منها تجريح لابن إسحاق ، وتوهين من شأنه في رواية الحديث ، هي جهة الإمام مالك بن أنس ، من أجل الخلاف الذي كان بينهما ــ والذي وضحناه فيما سبق .

ولعل الذين توقفوا عن رواية الحديث عن ابن إسحاق ، كانوا متأثرين في ذلك بموقف الإمام مالك بن أنس من ابن إسحاق ، ومالك كان صاحب نفوذ علمي كبير لا يخفى على أحد ، وهو الوحيد الذي لقّب بإمام دار الهجرة ، وقد ذاع وشاع القول المأثور الذي صار مثلا " لا يفتى ومالك في المدينة " وكان ذلك القول صحيحًا ولم ينكره أحد من العلماء .

---

(١) انظر وفيات الأعيان ، جـ ٤ ، ص ٢٧٦ ــ ٢٧٧.

فقد روى عن ابن وهب أنه قال : "سمعت مناديا ينادى بالمدينة ألا لا يفتى الناس إلا مالك بن أنس وابن أبى ذؤيب " (١).

وأهل المدينة هم الذين أمسكوا عن ابن إسحاق ، ولم يقبلوا أحاديثه ، مجاملة لإمامهم ؛ مالك بن أنس ـ واستمر ذلك الموقف حتى بعد وفاة مالك بزمن طويل . فقد روى عن مفضل بن غسان أنه قال : " حضرت يزيد بن هارون ، فى سنة ثلاث وتسعين ومائة بالمدينة ، وهو يُحَدِّث بالبقيع ، وعنده ناس من أهل المدينة يسمعون، فحدث بأحاديث ، حتى حدثهم عن محمد بن إسحاق ، فأمسكوا ، وقالوا : " لا تحدثنا عنه ، نحن أعلم به ، فذهب يزيد يحاولهم ، فلم يقبلوا منه ، فأمسك يزيد (٢). ويزيد بن هارون هذا من تلاميذ ابن إسحاق .

وبيد أنه كان من أثر موقف مالك من ابن إسحاق أن الإمام البخارى لم يخرج له أحاديث ، بينما خرج له الإمام مسلم حديثاً واحداً ، من أجل طعن مالك فيه (٣).

ولكن رغم كل ذلك فإن ابن إسحاق سيظل جليل القدر ، عظيم المكانة عند العلماء .

---

(١) المصدر السابق ، جـ ٤ ، ص ١٣٥.

(٢) تاريخ بغداد ، جـ ١، ص ٢٢٦.

(٣) وفيات الأعيان ، جـ ٤ ، ص ٢٧٧.

## آثار ابن إسحاق العلمية

ينسب ابن النديم فى الفهرست[1] لابن إسحاق كتابين ؛ أحدهما ، كتابه المشهور ، ويسميه ابن النديم كتاب : السيرة والمبتدأ والمغازى ، والثانى يسميه كتاب الخلفاء ، وهو مفقود ، ولم يصل إلينا حتى الآن ، أما الكتاب الأول فهو الذى وصلنا فى صورة تكاد تكون كاملة ، عن طريق عبد الملك بن هشام ، برواية زياد بن عبد الله البكائى ، والذى أصبح مشهوراً فى أوساط العلماء بسيرة ابن هشام . وبينما يسمى ابن النديم هذا الكتاب ؛ كتاب السيرة والمبتدأ والمغازى ، نجد محمد بن سعد ، وهو أسبق من ابن النديم ـ يسميه كتاب المغازى فقط ، ولعل مرجع ذلك الاختلاف فى التسمية ، هو أن المسلمين كان اهتمامهم فى مبدأ الأمر منصبّاً على مغازى رسول الله ﷺ وكان الصحابة يعلّمون أولادهم مغازى رسول الله ﷺ ، كما يعلمونهم سور القرآن الكريم ، وذلك لأهمية المغازى عندهم ، ولما فيها من جهاد وتضحيات كبيرة ، ولما فيها من تشريع وأحكام وقواعد فقهية وآداب وسلوك أخلاقى عظيم من الرسول ﷺ ، ومن صحابته الكرام ، فكانت القدوة فى كل ذلك عظيمة ، ومن ثم كان حرص الصحابة رضوان الله عليهم ، على تعليم أولادهم مغازى

(١) ص ١٣٦.

الرسول وكل ما يتعلق بها من أحكام وتشريع وآداب . فلما بدأ عهد التدوين كانت المغازى أول ما حظى بالاهتمام الأكبر من العلماء ، وبدأوا فى تدوينها مستقصين كل أخبارها ، ومتتبعين خطى رسول الله ﷺ فى كل غزواته ، حتى أن بعضهم ــ محمد بن عمر الواقدى ، على سبيل المثال ــ كان يحرص على مشاهدة مواقع الغزوات بنفسه ويتفقد الميادين التى شهدت جهاد الرسول ﷺ وأصحابه .

بل أن الاهتمام بمغازى رسول الله ﷺ لم يبق مقصوراً على مؤلفات علماء المغازى والسير ، فعلماء الحديث من أصحاب الصحاح والسنن والمسانيد وغيرهم قد ضَمَّنوا كتبهم أبواباً عن مغازى رسول الله ﷺ لهذا ــ ربما ــ اكتفى محمد بن سعد بأن سمى كتاب ابن إسحاق كتاب المغازى . ثم أخذت فكرة الكتابة فى هذا المجال تنمو وتتطور حتى شملت حياة الرسول كلها والتأريخ للدعوة والدولة الإسلامية فى عهده ﷺ وهذا ما يفهمه الناس الآن إذا تحدثوا عن السيرة النبوية .

## متى ألف ابن إسحاق ؟

الرواية المشهورة أن محمد ابن إسحاق ألف كتابه ــ السيرة والمبتدأ والمغازى ــ فى العراق بتكليف من الخليفة العباسى المشهور أبى جعفر المنصور ، فالبغدادى فى تاريخ بغداد ،

وابن خلّكان فى وفيات الأعيان[1] وغيرهمـــا ممـــن ترجـــموا لابـــن إسحاق، يروون أنه وفد على أبى جعفر المنصور ، فـــى الحـــيرة ، وذلك قبل أن يتم بناء بغداد وينتقل إليها المنصـــــور ــ ولقـــد انتقـــل المنصور إلى بغداد واتخذها عاصمة لدولته سنة ١٤٥هـــ ــ وبينمـــا كان ابن إسحاق عند المنصور ، دخل عليه محمد بـــن المنصـــور ــ الذى لقب بالمهدى بعد أن أصبح خليفة بعـــد وفـــاة أبيـــه ــ فقـــال المنصور لابن إسحاق ؛ أتعرف هذا يا ابن إسحاق ؟ قال نعم : هـــذا ابن أمير المؤمنين . قال : أذهب فصنف له كتاباً منـــذ خلـــق الله آدم عليه السلام ، إلى يومناً هذا ، فذهب فصنف له هذا الكتـــاب ، فقـــال المنصور لقد طولته يا ابن إسحاق ، فاذهب فاختصره ، فـــاختصره ، فهو هذا الكتاب المختصر ، وألقى الكتاب الكبير فـــى خزانـــة أمـــير المؤمنين .

معنى هذا أن سيرة ابن هشام التى بيـــن أيدينـــا ، والتـــى هـــى تلخيص لسيرة ابن إسحاق الأصليـــة ، هـــى تلخيـــص التلخيـــص ، أو مختصر المختصر ، وأن الكتاب الأصلى كان كبير الحجـــم جـــداً ولم يصل إلينا لسوء الحظ ــ حتى تلخيص ابن إسحاق الأصلـــى لـــم يصل إلينا كاملا حتى الآن ، وإن كنا ســـمعنا أنـــهم عـــثروا عليـــه مخطوطاً فى المملكة المغربية ولكنهم يتكتمون أمـــره ، وحتـــى الآن

(١) انظر : تاريخ بغداد ، جـ ١، ص ٢٢٠ ــ ووفيات الأعيان ، جـ ٤ ، ص ٢٧٧.

لا نعرف ما إذا كانوا عثروا عليه حقيقة أم لا ، وإذا كـــانوا عــثروا عليه هل نشروه أم لا . وكل ما نعرف منه هو ما جاءنا عن طريـــق ابن هشام والذى يعرفه الناس الآن بسيرة ابن هشام والرواية الســـابقة عن تكليف أبى جعفر المنصور لابن إسحاق بكتابة كتاب فى التـــاريخ من بدء الخليقة إلى وقته هى المشهورة ، ومع شهرتها فـــإن النفـــس لا تطمئن إليها ، بل يمكننا أن نقول إن محمد ابن إسحاق قـــد ألـــف كتابه ، أو وضع أصوله على الأقل قبل أن يغادر المدينة المنورة إلى العراق وذلك للأسباب الآتية :

**أولاً :**

تنص تلك الرواية المشهورة ــ التى أوردهـــا البغـــدادى وابـــن خلكان وغيرهما ــ على أن الخليفة أبا جعفر المنصور طلب من ابـــن إسحاق أن يؤلف لابنه وولى عهده ــ محمد المهدى ــ كتابا منذ خلـــق الله آدم إلى وقته الذى هو فيه ، وذلك الوقت وإن لم يحدد بدقة ، فـــهو بالتأكيد بعد سنة ١٣٦هـ ، وهى السنة التى تولى فيها أبـــو جعفـــر المنصور الخلافة ــ بعد وفاة أخيه أبى العباس السفّاح ــ وإذا كـــان الأمر كذلك ، فلماذا توقف ابن إسحاق بالكتاب عند وفاة الرســـولﷺ ولم يضمنه شيئًا سوى سيرة الرسولﷺ ، إلا ما كان من حديثه عـــن مؤتمر السقيفة ، وبيعة الخليفة الأول أبى بكر الصديق رضى الله عنه وهى أمور من النتائج المباشرة لوفاة الرسول ﷺ .

**ثانيًا :**

إن كتاب ابن إسحاق الأصلى الذى اختصره ابن هشام كان يحتوى على أخبار ما كان يرضى عنها العباسيون ؛ بل كانوا يستاءون منها ، مثل مشاركة جدهم العباس بن عبد المطلب فى معركة بدر فى صفوف المشركين ضد النبىﷺ ووقوعه فى الأسر ، وفداؤه نفسه بقدر كبير من المال ، ورغم ما روى من أن الرسولﷺ قال عن العباس إنه خرج مكرها ، بل نهى عن قتله ـ إلا ان العباسيين كانوا يستاءون جدا من تلك القصة ـ التى ذكرها ابن إسحاق فى كتابه الأصلى ـ ونحن عرفنا ذلك من رواية العلماء الذين أخذوا عن الأصل ، مثل الطبرى ـ ولذلك حذفها ابن هشام عند تلخيصه لسيرة ابن إسحاق إرضاء للعباسيين ، وتحاشى ذكرها فى كتاباته كل من محمد بن عمر الواقدى ، وكاتبه محمد بن سعد لنفس السبب وهو كراهية العباسيين لذكرها .

لذلك لو كان ابن إسحاق قد ألف كتابه بأمر أبى جعفر المنصور لكان من المستبعد أن يذكر هذه القصة ، وهو يعلم أن الخليفة يستاء من ذكرها . لذلك نرجح أن أصول الكتاب وضعت فى المدينة .

**ثالثًا :**

إننا نجد من بين تلاميذ محمد ابن إسحاق الذين رووا عنه كتاب المغازى ، تلميذا مدنيًا ؛ هو إبراهيم بن سعد بن إبراهيم بن عبد الرحمن بن عوف ، الإمام الحافظ ، قاضى المدينة [1].

ولم يعرف عنه أنه غادر المدينة إلى العراق وأقام بها إقامة طويلة مكنته من رواية ونسخ كتاب أستاذه . والأقرب إلى المنطق — والحالة هذه — أن يكون إبراهيم بن سعد قد روى عن أستاذه أصول الكتاب ، وهو فى المدينة ، وقبل أن يغادرها إلى العراق . ومن الطبيعى أن يكون محمد بن إسحاق قد حمل معه نسخة من كتابه فى رحلته إلى العراق ، حيث رواه عنه تلاميذه العراقيون ، ومنهم زياد ابن عبد الله البكائى ، الذى روى عنه عبد الملك بن هشام السيرة ولخصها ونسبت إليه ، بل طغت تلك النسبة على صاحب الكتاب الأصلى ، وعرفه الناس بسيرة ابن هشام .

**رابعًا :**

لم يرو ابن إسحاق فى كتابه عن أحد من علماء العراق — وهم كثيرون فى ذلك الوقت — إذ يتضح من قائمة الرواة الذين روى عنهم ، وذكرهم بأسمائهم بل بأنسابهم ، أنه ألف كتابه واستقى مادته

(١) انظر تذكرة الحفاظ للذهبى جـ ١ ص ٢٥٢ — ٢٥٣.

العلمية على أساس الأحاديث والروايات التى جمعها فى المدينة خاصة على أساس الأحاديث والمعلومات التى جمعها فى مصر ــ عندما زارها ــ فقد حرص على الأخذ من علماء مصر ؛ خصوصا أشهرهم يزيد بن أبى حبيب ، وسجل ذلك . وبالمقابل لو كان ألف كتابه فى العراق ، لكان من المحتمل جدًا أن يجد هناك من العلم ما يستحق أن يضيفه ويسجله فى كتابه ــ كما فعل فى مصر ــ ولكنه لم يفعل ، فدل خلو الكتاب من أى ذكر لعلماء العراق على أنه كتب فى المدينة المنورة ، وقبل أن يغادرها ابن إسحاق إلى العراق ويلتقى بالخليفة أبى جعفر المنصور ويتلقى منه الأمر بالتأليف ــ والله أعلم ــ .

**محتويات الكتاب :**

ذكرنا فيما سبق أن كتاب ابن إسحاق لم يصل إلينا بنصه الأصلى ، ولم يطبع حتى الآن ــ حسب علمنا ــ وإنما وصل إلينا برواية عبد الملك بن هشام عن رواية زياد بن عبد الله البكائى عن ابن إسحاق .

وابن هشام عندما تناول كتاب ابن إسحاق لم ينقله كما هو ، وإنما أجرى فيه تعديلات كثيرة ؛ بالحذف تارة ، وبالإضافة تارة أخرى ــ وأحيانًا ــ بتغيير العبارة . ونَدَع ابن هشام نفسه يوضح لنا صنيعه فى الكتاب ؛ فهو يقول : " وأنا ــ إن شاء الله ــ مبتدئ

هذا الكتاب بذكر إسماعيل بن إبراهيم ــ ومن ولد رسول الله ﷺ مــن ولده وأولادهم لأصلابــهم ؛ الأول فــالأول ، مــن إســماعيل إلــى رسول الله ﷺ وما يعرض من حديثهم ، وتارك ذكر غيرهم من ولــد إسماعيل على هذه الجهة ، للاختصار ، إلى حديث رســول الله ﷺ ، وتارك بعض ما ذكره ابن إسحاق فى هذا الكتاب ، مما ليس لرســول الله ﷺ ، فيه ذكر ، ولا نزل فيه من القرآن شيء وليس سببا لشــيء من هذا الكتاب ، ولا تفسيرا له ، ولا شاهدا عليه ، لما ذكــرت مــن الاختصار ، وأشعار ذكرها ــ يقصد ابن إسحاق ــ لم أر أحدا مــن أهل العلم بالشعر يعرفها ، وأشياء بعضها يشنع الحديث به ، وبعــض يسوء بعض الناس ذكره ــ ولعل ابن هشام يقصد بذلك مثل حادثــة حضور العباس بن عبد المطلب معركة بدر فى صفوف المشــركين مما كان يستاء منه العباسيون ، وقد أشرنا إلى ذلــك مــن قبــل ــ وبعض لم يقر لنا البكائى بروايته ، ومستقصى إن شاء الله ما ســوى ذلك ، بمبلغ الرواية له ، والعلم به [1] .

هذه هى خطة ابن هشام ومنهجه فى تناوله لسيرة ابن إســحاق ، كما شرحه بنفسه . ولابن هشام الفضل كل الفضل ، فى حفــظ هــذا السفر الخالد عن سيرة رسول الله ﷺ ومغازيه ، إذ لولاه لكــان مــن

---

(١) سيرة ابن هشام جـ١ ، ص٢ ، تحقيق فضيلة الشيخ المرحوم محمد محيــى الديــن عبد الحميد.

المحتمل أن تفقد تلك الثروة العلمية الكبيرة عن موضوع من أجل وأعظم موضوعات العلوم الإسلامية ،فعلى كل طالب علم مسلم أن يحييَّ ابن هشام وأن يستغفر الله له ويطلب له الرحمة على هذا العمل الجليل ، وتلك المكرمة العلمية التى طوّق بها أعناق العلماء .

وإذا كان ابن هشام قد اضطر ــ كما قال ــ لحذف أشياء من أصل الكتاب ــ للدواعى والأسباب التى ذكرها ــ فإنه لمن حسن حظنا أن كثيرًا مما حذفه ابن هشام ، ذكره المؤرخون الآخرون فى كتبهم ــ وبصفة خاصة عمدة المؤرخين المسلمين وإمامهم محمد بن جرير الطبرى ــ وقد قام أحد الباحثين الأوروبيين المحققين ؛وهو الأستاذ يوسف هوروفيتش بتلخيص محتويات سيرة ابن إسحاق الأصلية ، فى ضوء نص سيرة ابن هشام ، إضافة إلى النصوص التى ذكرها المؤرخون الآخرون ، وفى كتابه المعنون : " المغازى الأولى ومؤلفوها ــ وهذا الكتاب القيم هو مرجعنا الأساسى فى تلك المعلومات ، فمؤلفه يقول : " وإذا عنينا بهذه الفقرات المحفوظة فى مقتطفات ليست فى نص ابن هشام ، وصلنا إلى الصورة التالية لمنهج ابن إسحاق .

**أ ــ التاريخ الجاهلى :** وهو القسم الأول من كتاب ابن إسحاق ، والذى يسميه المبتدأ ــ الذى ينقسم إلى أربعة فصول ، يتناول أولها الوحى قبل الإسلام ، منذ خلق الله العالم ، حتى عيسى

عليه السلام ، وقد لقى هذا الفصل الحظ الأوفر من إعــــراض ابــن هشام .

ولما كان ابن إسحاق معنيا فى كل مكان بالتاريخ السنوى ، أعـد هذا الفصل أيضًا مثل هذه الإحصاءات ، وعنى بروايات وهب مـــن منبه ، وروايات ابن عباس ، وأخبار الأدباء اليـــهود والمســيحيين ، ونص الكتاب المقدس نفسه ، إلى جانب رجوعه للقـــرآن . ويظـــهر فيه إلى جانب رجال الكتاب المقدس القبائل العربية ، من عاد وثمـــود بالذين أرسل الله إليهم رسله ، كما يقول القرآن الكريم ، ولكنه يذكـــر أيضًا طسمًا وجديسًا ؛ وهما غير مذكورتين فى القرآن .

ويتناول الجزء الثانى من المبتدأ الذى حفظت مادته فـــى كتـــاب ابن هشام ، والذى يمكن تكميله من الطبرى أيضًا تاريخ اليمـــن فـــى العصور الجاهلية .

ويتناول الفصل الثالث من المبتدأ القبـــائل العربيـــة وعبادتـــها الأصنام . ويتناول الفصل الرابع أجداد النبىﷺ والديانات المكية .

## ب ــ المبعث :

ويشمل تاريخ حياة النبى ﷺ فى مكة ، والهجرة ، وربما شـــمل العام الأول من نشاطه فى المدينة ، ويكثر فـــى هـــذا الجـــزء عـــدد الأسانيد وجل اعتماد ابن إسحاق فيه على روايات أساتذته المدنييـــن ،

التي يبرزها في نظام سنوي ، وهو يقدم الأخبار الفردية بموجز حاوٍ لمحتوياتها في الغالب ، وفي هذا الجزء إلى جانب القصص التي يوردها بإسناد أو بغير إسناد ، توجد وثيقة على جانب كبير من الأهمية دونها ابن إسحاق وحده ، ولم يذكرها أحد من كتاب المغازي الأولين تلك الوثيقة هي معاهدة المدينة المشهورة ـ التي وقعها النبي ﷺ مع قبائل المدينة ، وهي المسماة بنظام مجتمع المدينة ويسميها بعض الكتاب المحدثين ، دستور المدينة ، وكذلك يوجد بهذا الجزء من سيرة ابن إسحاق مجموعات كاملة من القوائم بأسماء الرجال ، منها قائمة بأسماء المؤمنين الأولين وقائمة بأسماء المسلمين الذين هاجروا إلى الحبشة ، وقائمة بأسماء أول من أسلم من الأنصار ، وقائمة بأسماء الذين اشتركوا في بيعة العقبة ، وقائمة بأسماء المهاجرين والأنصار الذين تلقوهم في المدينة ، وقائمة بأسماء المهاجرين والأنصار الذين آخى بينهم النبي ﷺ .

### جـ ـ المغازي :

الجزء الثالث والأخير من كتاب ابن إسحاق ـ والذي يسمى المغازي هو تأريخ لحياة النبي ﷺ في المدينة منذ أول يوم إلى أن لحق بالرفيق الأعلى في الثاني عشر من ربيع الأول سنة ١١ هـ إضافة إلى بعض الأحداث التي ترتبت على وفاته ﷺ مثل مؤتمر

سقيفة بنى ساعدة ، الذى ناقش فيه الصحابة من المهاجرين والأنصار مسألة الخلافة ، والذى انتهوا فيه إلى بيعة أبى بكر الصدِّيق خليفة لرسول الله ﷺ فى حكم الأمة الإسلامية . ولم يكد ابن إسحاق يترك شيئًا من أعمال النبى ﷺ فى المدينة ، بدءاً من تأسيس مسجده والمؤاخاة بين المهاجرين والأنصار ــ طبعًا جل المؤاخاة كانت بين المهاجرين والأنصار ــ لكن كانت إلى جانب ذلك مؤاخاة بين مهاجر ومهاجر ومؤاخاته ﷺ مع على بن أبى طالب ، وكمؤاخاة عمه حمزة ابن عبد المطلب مع مولاه زيد بن حارثة ــ وهم مهاجرون ، إضافة إلى معاهدة المدينة ، وهذه الثلاثة ، بناء المسجد والمؤاخاة والمعاهدة يعتبرها المؤرخون أهم أركان وأسس الدولة الإسلامية ، التى أقامها الرسول ﷺ فى المدينة بعد الهجرة ، ثم تنتشر فى هذا الجزء من كتاب ابن إسحاق أخبار غزوات الرسول ﷺ بشكل تفصيلى وكل ما يتعلق بذلك من تشريع أخبار وأحكام ، كما تنتشر فيه أيضًا أخبار النبى الشخصية خاصة أزواجه وعلاقاته بهن ، وهكذا إلى أن وصل إلى مرض ووفاة النبى ﷺ . فعالج كل ذلك بتفصيل واف والقاعدة الرئيسية هنا هى وجود الإسناد ، ومصادر ابن إسحاق فى كل ذلك شيوخه المدنيون ، وأهمهم محمد بن مسلم بن شهاب الزهرى ، وعاصم بن عمر بن قتادة الأنصارى ، وعبد الله بن أبى بكر بن محمد بن عمرو ابن حزم الأنصارى : الذى يدين له

ابن إسحاق بالنظام السنوى فى ترتيب الأحداث ، وإضافة إلى هـؤلاء الشيوخ الكبار فإن ابن إسحاق أخذ كثيرًا عن غيرهم ، خاصـــة مـــن أقارب الرجال والنساء الذين اشتركوا فى الحوادث ، وسمعوا منـــهم ، وأدوا ما سمعوه لابن إسحاق وغيره ويستخدم ابـــن إســـحاق منـــهجا واضحًا ومحددًا فى عرض غـــزوات الرسـول ﷺ فيقـدم مخلصًـا للمحتويات فى المقدمة ، ثم يتبع ذلك بخبر جماعى مؤلف من أقـــوال وروايات أوثق شيوخه ، ثم يكمل هذا الخبر الرئيسى بالأخبار الفردية التى حصل عليها من مصادر أخرى ، وقوائم الأسماء فى هذا الجـزء من الكتاب كثيرة ، ويوردها غالبًا باكتسابها ، ففيه قائمة وافية بأسماء الذين اشتركوا فى غزوة بدر الكبرى ، وقائمة بأسماء الذين استشهدوا من المسلمين ، وقائمة بأسماء الذين قتلوا مـــن المشـــركين وأخـــرى بأسماء الأسرى . وقائمة بأسماء قتلى أحد والخندق وخيبر والطائف ، وقائمة بأسماء المهاجرين الذين رجعوا من الحبشة مع جعفر بن أبـــى طالب رضى الله عنه .

**كيف وصل إلينا كتاب ابن إسحاق ؟**

ذكرنا ــ آنفا ــ أننا نرجح أن ابن إسحاق قـــد كتـــب كتابـــه ــ أو وضع أصوله على الأقل ــ فى المدينة المنورة وقبل أن يغادرهـــا إلى العراق وقلنا إن أحد تلاميذه المدنيين ــ وهو إبراهيم ابـــن ســـعد ابن إبراهيم بن عبد الرحمن بن عوف ــ روى عنه الكتاب ، ولكـــن

كان لابن إسحاق حوالى خمسة عشر تلميذًا آخرين ، كلهم رووا كتاب شيخهم ، منهم مسلمة بن الفضل المتوفى عام ١٩١هـ والذى اعتمد عليه الطبرى كثيرًا فيما يرويه عن ابن إسحاق ، ومنهم يونس ابن بكير المتوفى عام ١٩٩هـ ، والذى اعتمد على روايته عن ابن إسحاق ، كل من الحاكم فى المستدرك فى الفصل الخاص بالمغازى ، وابن الأثير فى أسد الغابة ، وابن حجر فى الإصابة ويبدو أن كل النسخ التى كتبها تلاميذ ابن إسحاق العراقيين أو كانت عندهم قد ضاعت ، أو تلفت ما عدا نسخة واحدة ، هى نسخة زياد بن عبد الله البكائى التى كتب لها الخلود على يدى عبد الملك بن هشام . ويبدو كذلك أن الكتاب الأصلى لابن إسحاق ظل مصدراً للأخذ منه والاعتماد عليه عدة قرون ، فرغم سرعة وسعة انتشار ملخص ابن هشام ــ الذى أخذه من رواية زياد البكائى ــ لدرجة أن اليعقوبى ؛ المتوفى سنة ٢٩٢هـ قد استخدمه . فإن الكتاب الأصلى ظل متداولاً بعد ذلك طويلاً ، إلى وقت ابن حجر العسقلانى المتوفى سنة ٨٥٢هـ ؛ فزياد بن عبد الله البكائى هو الذى أسدى إلينا هذه الخدمة الجليلة وحفظ كتاب أستاذه ابن إسحاق وأتاح لابن هشام أن يوصله لنا ، فمن حقه علينا أن نُعَرِّف به لتعرفه الأجيال ، فمن هو زياد بن عبد الله بن الطفيل بن عامر القيسى . البكائى العامرى ، وكان يكنى

بأبى محمد ، ويقال بأبى يزيد الكوفى ، ولـد وعـاش وتوفـى فـى الكوفة ، ونسبه إلى عامر بن صعصعة [١].

روى عن عبد الملك بن عمير ، وحميـد الطويـل ، وعـاصم الأحول ، والأعمش ، ومحمد بن إسحاق ، وروى عنه جماعة مـن الأعلام ، وأكابر العلماء والمحدثين ، منهم الإمام أحمد بن حنبـل ، وأحمد بن عبده الضبيّ ، وأبو غسَّان المهدى ، وإسماعيل بن توبـه ، ويوسف بن حماد ، وعمرو بن زرارة ، وعبـد الملـك بـن هشـام السدوسى النحوى ، صاحب السيرة ، وقد أثنى على البكـائى طائفـة من العلماء ، وأجمعوا على أن روايته لكتاب المغـازى عـن ابـن إسحاق هى من أصح الروايات .

قال يحيى بن آدم عن ابن إدريس : " ما أحد أثبـت فـى ابـن إسحاق منه ، لأنه أملى عليه إملاء مرتين" . وقال صالح بن محمـد : ليس كتاب المغازى . عند أحد أصح منه عند زياد .. وذلك أنه بـاع داره وخرج يدور مع ابن إسحاق ، حتى سمع منه الكتاب " [٢] . هـذا باختصار شديد هو زياد بن عبد الله البكائى ، ويكفى أنه مـن حبـه

---

(١) انظر ترجمة زياد البكائى فى تهذيب التهذيب لابن حجر ، جـ٣ ، صـ وفيات الأعيان لابن خلكان ، جـ٢ ، صـ٣٣٨ .

(٢) انظر سيرة ابن هشام ، جـ١ ، صـ٢٩ من ترجمة المحقق فضيلة الشيخ المرحوم محمد محى الدين عبد الحميد لابن هشام .

للعلم ــ خاصة مغازي رسول الله ﷺ قد باع بيته وفرّغ نفسه لرواية سيرة النبي ، من رائدها الأول ؛ محمد بن إسحاق ، وقد توفي البكائي ــ رحمه الله تعالى سنة ١٨٣هـ ــ بعد أن أدى الكتاب إلى من أوصله إلينا ، والذي من حقه علينا كذلك أن نخصه بكلمة ، تقدير وتحية ، وهو **أبو محمد عبد الملك بن هشام** : ابن أيوب المعافري البصري المصري ؛ فقد ولد ابن هشام في مدينة البصرة بالعراق ، وفيها نشأ ودرج ، وتتلمذ على علمائها ونهل من علمهم ، وبعد أن تزود من علم علماء العراق ، وتوج ذلك برواية السيرة عن أستاذه زياد بن عبد الله البكائي الذي أملاها عليه بنفسه ؛ بعد ذلك رحل إلى مصر ، التي كانت الحركة العلمية فيها آنذاك في أوج ازدهارها ، بجهد علمائها ، ومن وفد إليهم من علماء الأقطار الأخرى ، وعندما وصل ابن هشام إلى مصر كانت سماؤها قد ازدانت بنجم ثاقب من نجوم العلم والفقه ؛ وهو عالم قريش ــ الذي ملأ طباق الأرض علماً ــ محمد بن إدريس الشافعي ، الذي التقى به عبد الملك بن هشام ، وتدارس معه العلم والأشعار ، فقد كان كلاهما شاعراً ، فوق تبحرهما في العلوم الأخرى .

وقد قضى ابن هشام في مصر بقية حياته ، وقد أثرى ــ رحمه الله تعالى ــ المدرسة المصرية في علوم كثيرة ، مثل النحو واللغة وعلم الأنساب ناهيك عن درته الخالدة ، سيرة رسول الله ﷺ ــ ذلك

الكتاب القيم ، الذى ظل مخطوطا إلـــى أن قيــض الله لـــه الأســـتاذ وستنفيلد فقام على تحقيقه ، وطبعه فى مدينة جوتنجن بألمانيـــا ســـنة ١٨٥٩م . ومنذ أن ظهر مطبوعًا عرف الناس قيمته ، وتوجهت إليــه أنظار الباحثين والمهتمين بسيرة رسول الله ﷺ وانتشر انتشارًا واســـع النطاق فى ربوع العالم الإسلامى من أقصاه إلى أقصاه .

وتوالت طبعاته بعد ذلك ، فطبع فى مطبعة بـــولاق ، وظـــهرت له أكثر من طبعة محققة ، من أهمها تلك التى حققها فضيلـــة الشـــيخ المرحوم محمد محي الدين عبد الحميد ــ عميد كلية اللغـــة العربيـــة الأسبق ــ وأحد كبار العلماء ، ومن الذين لهم فى مجال التحقيق بـــاع طويل . كذلك من الطبقات المحققة تحقيقًا جيدًا تلك التى قام بتحقيقـــها الأستاذ مصطفى السقا وزملاؤه .

وبعد فهذا هو محمد بن إسحاق ــ أحد أعلام الطبقـــة الثالثـــة ــ بل رأس تلك الطبقة من كتاب المغــــازى والســـير ، والرائـــد الأول للكتابة المنظمة المنهجية فى سيرة رسول الله ﷺ ، وهذا هـــو كتابـــه الخالد الذى لم يسبقه أحد إلى مثله ، والذى أصبح الأصـــل الأصيـــل لكل من كتب فى السيرة النبوية منذئذ إلى وقتنا هذا . وســـيظل هـــو المرجع الأساسى فى علوم السيرة .

ولا أظن أن هذا البحث يكتمل دون أن يتضمن تعريفًا بعلمين آخرين من أعلام كتابة المغازى والسير ، وهما محمد بن عمر الواقدى، وتلميذه وكاتبه محمد بن سعد .

## الواقدى :

هو محمد بن عمر بن واقد ــ الملقب بلقبه المشهور الواقدى ــ وهو مولى من الموالى ، قيل مولى بنى هاشم ، وقيل مولى بنى سهم ابن أسلم .

يعتبر الواقدى ــ عند العلماء ــ (1) الثانى بعد ابن إسحاق فى سعة العلم بالمغازى والسير . وقد ولد الواقدى بالمدينة المنورة سنة ١٣٠هـ وتوفى سنة ٢٠٧هـ ببغداد ، ودفن فى مقابر الخيزران ، حسب رواية تلميذه محمد بن سعد ، وقد لقى كثيرًا من الشيوخ وأخذ عنهم العلم مثل معمر بن راشد ، ومالك بنى أنس ــ الإمام المشهور ــ وسفيان الثورى ، ومن أشهر شيوخه فى السير والمغازى والتاريخ أبو معشر السّندى ، الذى وصفه الإمام أحمد بن حنبل بأنه كان بصيرًا بالمغازى (2) . وقد ألف فيها كتابًا ذكره ابن النديم فى الفهرست ، اقتبس منه ابن سعد فى كتابه الطبقات الكبرى فى الجزء الخاص بالسيرة النبوية وكذلك الطبرى . وقد استفاد الواقدى كثيرًا

---

(1) انظر ضحى الإسلام ، جـ٢ ، صـ٣٣٣ .

(2) انظر ضحى الإسلام جـ٢ صـ٣٣٣ .

من علم أبى معشر خاصة فى المغازى والتاريخ عندما تتلمذ عليه وهو فى المدينة [1] .

وقد اتصل الواقدى بالخلفاء العباسيين ، بدءاً من هارون الرشيد عن طريق علمه وسعة معلوماته عن الغزوات ومشاهد رسول الله ﷺ ، فقد روى أن أمير المؤمنين هارون الرشيد لما حجَّ فى أول سنة من خلافته سنة ١٧٠هـ . قال ليحيى بن خالد البرمكى : " ارتد لى رجلاً عارفًا بالمدينة والمشاهد ، وكيف كان نزول جبريل عليه السلام على النبى ﷺ ، ومن أى وجه كان يأتيه ، وقبور الشهداء ، فسأل يحيى بن خالد عن العالم الذى تتوفر فيه تلك الصفات التى طلبها الخليفة فدله الناس على الواقدى ، وذلك حسب قوله هو ــ أى الواقدى ــ فقد قال : " كلهم دلَّه علىّ ، فبعث إلىّ فأتيته ، وذلك بعد العصر ، فقال لى يا شيخ ؛ إن أمير المؤمنين ــ أعزه الله ــ يريد أن تصلى العشاء الآخرة فى المسجد ، وتمضى معنا إلى هذه المشاهد ، فتوقفنا عليها ففعلت ، ولم أدع موضعًا من المواضع ، ولا مشهدًا من المشاهد إلا مررت بهما ــ يعنى الخليفة هارون الرشيد ووزيره يحيى بن خالد البرمكى ــ عليه ، ومنحاه مالاً كثيرًا وطلب إليه يحيى بن خالد البرمكى ــ الذى كانت كلمته نافذة فى الدولة العباسية كلها فى ذلك الوقت ــ أن يصير إليه فى العراق ، ففعل ، وتوطدت صلته

(١) انظر ضحى الإسلام ، جـ٢ ، صـ٣٣٣ .

به وأغدق عليه كثيرًا من الأموال وأخلص هو فى حبه للبرامكة ، حتى أنه بعد نكبتهم المشهورة سنة ١٨٧هـ . كان كثير الترحم على يحيى بن خالد كلما ذكر اسمه .

ورغم صلة الواقدى القوية بالبرامكة إلا أن مكانته فى بلاط خلفاء بنى العباس ظلت كما هى ولم ينله ضرر بسبب تلك الصلة بعد نكبتهم . بل ازدادت مكانته وثقة الخلفاء فيه إلى الحد الذى جعل المأمون يوليه القضاء فى عسكر الهدى ، وهى المحلة المعروفة بالرصافة فى شرق بغداد . وكان المأمون كثير الإكرام له ، ويداوم على رعايته وظل فى منصب القضاء حتى وفاته سنة ٢٠٧هـ على أرجح الأقوال .

وقد نبغ الواقدى فى علم المغازى والسير والتاريخ الإسلامى بصفة عامة ، قال عنه البغدادى : " وهو ممن طبق شرق الأرض وغربها ذكره ، ولم يخف على أحد عرف أخبار الناس أثره ، وسارت الركبان بكتبه فى فنون العلم ؛ من المغازى والسير والطبقات ، وأخبار النبى ﷺ والأحداث التى كانت فى وقته ، وبعد وفاته ﷺ وكتب الفقه ، واختلاف الناس فى الحديث وغير ذلك " (١).
وحدّث هو عن نفسه فقال : " ما أدركت رجلاً من أبناء الصحابة وأبناء الشهداء ولا مولى لهم إلا سألته ، هل سمعت أحدًا من أهلك

(١) انظر تاريخ بغداد ، جـ٣ ، صـ١ .

يخبرك عن مشهده وأين قتل ؟ فإذا أعلمني مضيت إلى الموضع فأعاينه ، ولقد مضيت إلى المريسيع فنظرت إليها ، وما علمت غزاة إلا مضيت إلى الموضع فأعاينه " [١] .

وكان الواقدى غزير الإنتاج كثير التأليف حتى عد له ابن النديم ما يقرب من أربعين كتابًا معظمها فى المغازى والسير والتاريخ ، ـ تاريخ الفتوح بصفة خاصة ـ وقال ابن النديم " خلّف الواقدى بعد وفاته ستمائة قمطر كتبا ، كل قمطر منها حمل رجلين وكان له غلامان مملوكان ، يكتبان الليل والنهار ، وقبل ذلك بيع له كتب بألفى دينار " [٢] .

وكانت كتب الواقدى مصدراً أصيلاً لكل المؤرخين الذين جاءوا بعده فما من مؤرخ إلا واقتبس من كتبه ، مثل اقتباسات الطبرى من كتاب التاريخ الكبير .

ولكن لسوء الحظ ضاعت معظم هذه الثروة العلمية التى خلفها الواقدى ولم يبق من كتبه إلا عدد قليل ، منها كتاب فتوح الشام ، وكتاب المغازى ، وقد ذكر فى أوله شيوخه الذين أخذ عنهم علم المغازى فأوصلهم إلى خمسة وعشرين شيخًا ، ومعظمهم من أهل المدينة .

---

(١) المصدر السابق ، جـ٣ ، صـ٦ .

(٢) الفهرست لابن النديم ، صـ ١٤٤ .

ومغازى الواقدى أكثر إخبارا عن سيرة النبى ﷺ فــى المدينــة وهو أميل فى أخباره إلى الفقه والحديث من ابن إسحاق ، وهو أحيانــا يرجع إلى مادة علمية مكتوبة فى صحف رآها واعتمد عليها . فقــد قال تلميذه وكاتبه ابن سعد " قال الواقدى حدثنى عبد الله ابن جعفــر الزهرى قال : وجدت فى كتاب أبى بكر بن عبد الرحمن بن المســور .. وقال محمد بن عمر ــ الواقدى ــ نسخت كتاب أهل أذرح فــإذا فيه .. إلخ ويمتاز عمن سبقه بالدقة فى تعيين تاريخ الحــوادث [1] .

ومن المآخذ التى أخذها العلماء على الواقــدى أن صلتــه بالخلفــاء العباسيين قد أثرت فى أمانته العلمية ، فأعرض عن ذكــر الأحــداث التى تغضبهم ، أو لا يرضون عنها ، ومن أمثلة ذلــك حــذف اســم العباس بن عبد المطلب عم النبى ﷺ ، مــن جملــة أســماء الذيــن شاركوا فى معركة بدر من مشركى مكة ، ووقعوا أسرى فــى يــد المسلمين .

## رأى العلماء فى الواقدى :

اختلف علماء الحديث حول الواقدى اختلافا كبيرا ، بين معدّل له وبين مجرِّح ــ وقد حكــى الخطيــب البغــدادى أقوالــهم [2] علــى

(1) ضحى الإسلام ، جـ2 ، صـ 336 .

(2) انظر تاريخ بغداد ، جـ3 ، صـ 7 .

اختلافها ، وملخصها أن الإمام مالك بن أنس كان يثق فى رواياته ــ بينما كان لا يثق فى روايات ابن إسحاق كما سبق ذكره ــ وكذلك كان يثق فى الواقدى من فقهاء الحنفية ، محمد بن الحسن الشيبانى ، بل لقبّه بأمير المؤمنين فى الحديث ــ وذلك قبل أن يصبح هذا اللقب مقصوراً على الإمام البخارى فيما بعد . ووثق به من فقهاء الشافعية القاسم بن سلام .

أما الذين طعنوا عليه فمنهم ، على بن محمد المدينى ومن أقواله فيه " عند الواقدى عشرون ألف حديث لم يسمع بها " وقال عنه يحيى ابن معين " أغرب الواقدى على رسول الله ﷺ عشرين ألف حديث " وقال عنه أحمد بن حنبل : " الواقدى يركّب الأسانيد " .

والظاهر أن مطاعن المحدثين عليه كمطاعنهم على غيره من كتاب المغازى والسير ، لاختلاف المنهج بين الطائفتين . فهو لم يكن يتقيد بمذهبهم من ناحيتين :

**الأولى** : أنه كان يأخذ من الصحف ، ويعتمد على الكتب ، وثقات المحدثين كانوا يكرهون تلك الطريقة أشد الكراهية ، ويرون أنه لا يصح للمحدث أن يحدّث بحديث إلا إذا كان قد سمعه بأذنه ممن روى عنه ، **الثانية** : أنه كان يجمع الأسانيد المختلفة ويجيئ بالمتن واحدا ، مع أن جزءاً من المتن لبعض الرواة ، وجزءاً آخر

لرواة آخرين ، وكان المحدثون يعدون هذا عيباً ، وقد عــــابوا ذلـــك على الزهرى وتلميذه ابن إسحاق من قبل .

وكان عذر الواقدى لاستعماله تلك الطريقة ، أنه لو أفـــرد كـــل حديث بسنده لطال الأمر جدًا ، فقد روى أنـــه لمـــا طالبــه تلاميــذه بإفراد كل حديث بسنده ، أراد أن يبرهن لهم على ســـلامة منهجـــه ، فجاءهم بالأحاديث الخاصة بغزوة أحد باتباع إفراد كل حديث بســـنده فاستكثروا ذلك ، وقالوا ردنًا إلى الأمر الأول (١) .

والخلاصة ، أنه مهما كان من أمـــر اختـــلاف العلمـــاء حـــول الواقدى ــ والناس لا يختلفون عادة إلا على الأشياء الكبيرة ــ فقـــد كان واسع العلم بالمغازى والسير ، كما كان عالمًا بالفقـــه والحديـــث والتفسير ، وكان من أكبر المصادر التى عول عليها واعتمدها كبـــار المؤرخين ، خاصة الطبرى . وقد سبق أن ابن النديم عَـــدَّ للواقـــدى ما يقرب من أربعين كتاباً فى مختلف العلوم الإسلامية ، أشهرها فـــى السير والمغازى ، والفتوح ، كفتوح الشام ، وفتوح العراق . فرحمـــه الله وجزاه عن العلم خير الجزاء .

---

(١) انظر تاريخ بغداد جــ٣ صـــ٧ ، وضحى الإسلام جــ٢ صـــ٣٣٧ .

**محمد بن سعد :**

يعتبر محمد بن سعد آخر الكتاب الكبار فى المغازى والسـير ، وهو من مواليد البصرة سنة ١٦٨هـ ، وكان من الموالى ؛ فآبـاؤه كانوا موالى للحسين بن عبـد الله بـن عبيـد الله بـن عبـاس بـن عبد المطلب ،وقد رحل ابن سعد إلى المدينة المنورة ، ثم إلى بغداد ، حيث اتصل بأستاذه محمد بن عمر الواقدى ، وارتبط بـه ارتباطًا وثيقاً ، وكان يدّون له كتبه وأحاديثه [١] ، ومن أجل ذلك اشتهر بأنـه كاتب الواقدى ، واستفاد ابن سعد من أستاذه فائدة كبرى ، ومعظـم كتبه التى ألفها استقاها من علمه ــ وليس معنى هذا أنه لم يستفد مـن علم غيره ، فقد استفاد كثيرًا من علماء آخرين سبقوا الواقدى كـابن إسحاق وأبى معشر السندى ، وموسى بن عقبة ، وغيرهم ــ وكمـا استفاد ابن سعد من علم أستاذه ، فقد كان هو نفسه صـاحب فضـل كبير فى ترتيب علم أستاذه ، وكثيرًا ما كان يزيد عليه ، فقـد كـان يكمل ما كان ينقص الواقدى من أخبار الجاهلية ، وقد اسـتعان فـى ذلك بعلم هشام الكلبى ، الذى كان حجة فى أخبار الجاهلية وقد خلـف لنا ابن سعد واحدًا من أهم وأشهر المصادر الإسلامية ، فـى السـير والمغازى ، وأخبار الصحابة والتابعين وطبقاتـهم ــ وهـو كتـاب

---

(١) انظر الفهرست لابن النديم صـ١٤٥ .

الطبقات الكبرى ، والذى وصلنا سالمًا ــ لحُسن الحظ ــ وهــو فــى ثمانية أجزاء ، وقد خصص ابن سعد الجزأين الأول والثــانى منــه لسيرة رسول الله ﷺ ومغازيه والأجزاء الستة الباقية خصصها لأخبار الصحابة والتــابعين حســب مواطنــهم وأمصــارهم ، فمــن فــى مكة المكرمة ، ومن فى المدينة المنورة ، ومن فى البصرة ، ومــن فى الكوفة ، ثم رتب علماء كل مصر ، حسب شهرتهم وزمانهم .

وكان ابن سعد موضع ثقة المحدثين ، ومدحه كثيرون منــهم ، فقد قال فيه الخطيب البغدادى : "محمد بن سعد عندنا من أهل العدالـة وحديثه يدل على صدقه ، فإنه يتحرى فى كثير من رواياته " [(١)].

وإذا كان ابن سعد قد تتلمذ على أشهر علماء السير والمغــازى فى وقته ، وارتبط اسمه واشتهر بأنه كاتبه ، وهو الواقــدى . فقــد كان هو بدوره أستاذًا لكثير من العلمــاء ، مــن أشــهرهم المــؤرخ الكبير ، البلاذرى صاحب كتاب فتوح البلدان ، وهو من أشهر وأهــم الكتب فى موضوعه . وقد توفى ابن سعد فى بغداد سنة ٢٣٠هــ . رحمه الله رحمة واسعة .

هؤلاء العلماء الذين ذكرناهم ، هم أشهر وأكبر مؤرخى وكتــاب المغازى والسير ، طوال القرنين الأول والثــانى للــهجرة ومطلــع

---

(١) انظر تاريخ بغداد ، جــ ٥ ، صـــ ٣٢١ ، وانظر كذلك ضحى الإسلام ، جــ٢ ، صـــ٣٣٨ .

القرن الثالث ، ومن خلال ما مر نستطيع أن نستنتج النتائج الآتية : (١) .

١ــ إن أكثر وأشهر كتاب السير والمغازى الأولين ، كانوا من أهل المدينة ، وكان ذلك أمرًا طبيعيًا ، لأن أكثر أحداث السيرة ، وكل المغازى كانت فى المدينة ، والنبى ﷺ هو محور كل ذلك ، وكان من حوله من الصحابة أعرف الناس بتلك الأخبار ، لأنهم شهودها ومشتركون فيها ، وكان يروونها ويحدثون بها ويتناقلونها فى فخر واعتزاز كبيرين ، وقد تلقى التابعون منهم كل ذلك بشغف كبير وسلموا كل ذلك إلى رجال التدوين الذين حفظوه بكل تفاصيله وسلموه بدورهم للأجيال التالية حتى وصل إلينا ، وهو ثروة قلما حظيت بها أمة من الأمم عن تاريخ نبيها وسيرته ومغازيه ، فجزاهم الله خير الجزاء ، وغفر لهم ، وأسكنهم فسيح جناته .

٢ــ كانت السير والمغازى ــ فى البداية ــ جزءاً من الحديث يرويه الصحابة ، كما يروون الأحاديث ، وقد شغلت السيرة النبوية حيزاً غير قليل من الأحاديث ، والذين ألفوا فى الأحاديث لم تخل كتبهم من ذكر ما يتعلق بحياة النبى ﷺ ومغازيه وخصائصه ومناقبه ، وقد استمر هذا المنهج ، حتى بعد أن انفصلت السيرة ، عن علوم الحديث ، وأصبحت علماً مستقلاً ، له علماؤه ومؤلفوه ، وأقدم كتاب

---

(١) انظر فى ذلك . ضحى الإسلام ، جــ٢ ، صــ٣٣٨ ــ٣٣٩ .

وصل إلينا فى علم الحديث ، وهو موطأ الإمام مالك ابـــن أنـــس ـــ المتوفى سنة ١٧٩هـ ـــ لم يخل من ذكر طائفة كبيرة من الأحـــاديث التى تتعلق بسيرة النبى ﷺ وأوصافه وأسمائه ، وذكـــر مـــا يتعلـــق بالجهاد (١) .

واستمر هذا التقليد ، أو هذا المنهج بعد ذلك فى كتب كبار علماء المحدثين ، وفى مقدمتـــهم الإمامـــان البخـــارى ـــ المتوفـــى ســـنة ٢٥٦هـــ ، ومسلم بن الحجاج المتوفى سنة ٢٦١هـــ . فقـــد اشـــتمل صحيحاهما على جزء كبير من مغـــازى رســـول الله ﷺ وفضائلـــه وفضائل أصحابه ومناقبهم ، وقد شغل ذلك عُشر صحيح البخارى (٢) وحذا حذو البخارى ومسلم أصحاب السنن والمسانيد فى كتبهم .

٣ـــ سلك معظم المؤلفين الأوائل فى السيرة والمغـــازى مســـلك علماء الحديث ،من حيث العناية بالإسناد ، وأن بعضهم ـــ محمد بـــن إسحاق ، ومحمد بن عمر الواقدى وأمثالهما ـــ قد اضطـــر هـــؤلاء مراعاة لسير الحوادث وترتيبـــها فـــى نســـق واحـــد ، أن يجمعـــوا الأسانيد ، ويجمعوا بعد ذلك المتن ، من غير أن يفردوا كـــل جـــزء من المتن بسنده ، وقد قصدوا بذلك عرض الحادثـــة التاريخيـــة فـــى

---

(١) انظر السيرة النبوية للشيخ محمد أبو شهبة ، صـــ٢٣

(٢) المرجع السابق نفسه .

إيجاز تسهيلاً على القراء . ولكــن المحدثيــن عــابوا عليــهم تلــك الطريقة ، وهاجموهم من أجلها ، كما ذكرنا آنفا .

**وبعد فهؤلاء هم أشهر رواد علم الســـيرة النبويـــة ومغــازى رسول الله ﷺ ، نقدمهم للمسلمين ليعرفوا فضلهم فى تسجيل أحـداث أشرف سيرة وأعطر حياة عرفتها البشرية ، وهى سيرة وحياة خـير الخلق أجمعين محمد بن عبد الله صلوات الله وسلامه عليه وعلـــى آله وأصحابه أجمعين .**

## محتويات الكتاب

طبع
بمطبعة وزارة الأوقاف بطرة البلد

## يسر المجلس الأعلى للشئون الإسلامية

أن يزود المكتبة الإسلامية والقارئ المسلم فى جميع أنحاء العالم الإسلامى بأمهات الكتب التى صدرت عن المجلس ومنها :

### أمهات كتب التراث الإسلامى

صحيح البخارى الأجزاء من ١ : ١١
مختصر سيرة ابن هشام «جزءان»
سبل الهدى والرشاد الأجزاء ١ : ١٢
الموسوعة الإسلامية العامة
الموسوعة المختصرة للأحاديث النبوية ١ : ٧
موسوعة الفقه الإسلامى ٢٧ جزءاً
ترجمة تفسير المنتخب فى القرآن الكريم باللغات :
الفرنسية والألمانية والروسية والأسبانية والإندونيسية
حقائق الإسلام فى مواجهة شبهات المشككين
صفوة السيرة النبوية لابن كثير من ١ : ٤

### المصحف الشريف

المصحف الشريف طباعة المجلس ٢ لون بصمة ذهب .
المصحف المرتل ٢٢ شريطا للشيخ محمود خليل الحصرى
المنتخب فى تفسير القرآن الكريم «مجلد فاخر»
المصحف المجود ٦٠ شريطا للقراء : عبد الباسط عبد الصمد - مصطفى إسماعيل - محمود على البنا - محمود خليل الحصرى
المصحف المعلم ٣٨ شريطا للشيخ الحصرى

### وهذه الكتب لكبار العلماء القدامى وكبار المحققين فى العالم الإسلامى :

موسوعة الفقه الإسلامى الأجزاء من ١ : ٢٥
الفتاوى الإسلامية مجلدات من ١ : ٢٠
مساجد مصر وأولياؤها الصالحون الأجزاء ١ : ٥

### مراكز البيع

القاهرة ٩ شارع النباتات - جاردن سيتى
٢ شارع الأمير قدادار المتفرع من ميدان التحرير
مكتبة مسجد النور بالعباسية
٧٦ شارع الجمهورية (شرائط القرآن الكريم)
الإسكندرية فرع المجلس الأعلى للشئون الإسلامية - ٤٢ شارع سعد زغلول

مواعيد العمل من ٩ صباحا الى ٢ ظهرا

الثمن ٧٥ قرشاً

طبع بمطبعة وزارة الأوقاف